

استراتيجيات الأمل في عصر العنف

مَقَالَاتٌ حَوْلَ عُنْفِ السِّيَاسَةِ وَالْمَادَّةِ

استراتيجيات الأمل
في عصر العنف

مرورة كريدية

استراتيجيات الأمل في عصر العنف

مقالات حول عتف السّياسة والمادّة



للدراسات والنشر والتوزيع

2011

- الكتاب: استراتيجيات الأمل في عصر العنف
- المؤلف: مروة كريدية

Marwa Kreidieh

<http://marwa-kreidieh.maktoobblog.com>

E-mail: Marwa_kreidieh@yahoo.fr

-
- الطبعة الأولى: 2011
 - عدد النسخ: 1000 نسخة
 - التقييم الدولي: 9789933433154

-
- الناشر:



للدراسات والنشر والتوزيع

سورية - دمشق ص. ب : 2322

هاتف 5626576 - فاكس 5630559 (11 963 +)

جوال 944 624 693 (963 +)

البريد الإلكتروني : safi_nayaa@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة

إهداء

إلى كُلِّ مَنْ آمَنَ...
أَنْ رُجُوعَ الْكَائِنِ الْإِنْسَانِيِّ إِلَى نَفْسِهِ
ليس إلا رجوعاً إلى مَعَالِمِ رُوحِهِ الْمَطْلُوقَةِ...

وَأَنَّ التَّسَامُحَ فِي حَقِيقَتِهِ...
هُوَ مَنْظُومَةُ التَّكَامُلِ الْإِنْسَانِيِّ
فِي دُرُوبِ الْحَيَاةِ الْحُرَّةِ....
وَ هُوَ السَّبِيلُ لِتَحْقِيقِ النِّظَامِ الْكَوْنِيِّ...

وَأَنَّ اللَّاعْنُفَ...
لَيْسَ إِلَّا تَحْقِيقًا لِسَلَامِ الدَّاتِ مَعَ ذَاتِهَا...



كلمة

تقف الإنسانية اليوم على حافة تساؤل كبير تطرحه الأوضاع الإنسانية المتأزمة، لا سيما وأنّ "الأنا" الفردية و"التجمعية" المنفعلة و"المادة" قد أحكمت قبضتها على حاضر بني البشر، وقد أدّى اختلال التوازن المتعاضم بين الروح بوصفها صبغةً كونيةً "إلهية" والمادة بوصفها "مردوداً" الى نشوء علاقات "مصلحية" آنية قائمة على التعامل الآلي مع الإنسان المختزل بالواقع المادي المبني على المنفعة المباشرة وربط قيمته بمردوده النفعي، الأمر الذي حوّل علمنا الى "مملكة إرهاب" تتحكم فيها فعل المادة المنفعلة برغباتها. وبرغم كلّ الجراح والسلبيات، إلا أنّ ثمة رؤية نور تعكس إيجابية الوعي في مملكة الإنسانية، لترقى بالإنسان عن عنف الإرهاب المسيطر، إلى أفقٍ كونيٍّ مُغايرٍ يُحقّق للإنسان إنسانيّته، ويعيد للروح رونقها عبر تحقيق الأنسنة الكامنة والكاملة في كل إنسان.

ويضم هذا الكتاب مجموعة أفكار مبعثرة دُوِّنت على شكل مقالات مُتناثرة، حاولت من خلالها أن أوصل للقارئ العادي "الغير نُخبوي" أعقد الأفكار بأبسط العبارات، وقد جُمِعت بين دفتي هذا الكتاب دون صياغةٍ جديدة تتلاءم مع منهج البحث العلمي، مما قد يُوحي للقارئ بالتكرار و المشابهة، كما أنه لا يخلو من المتناقضات "الشكلية" والاستشهاد بأقوال مفكرين وفلاسفة قد "نخالفهم" أو "نوافقهم" فيما أنتجوه، بيد أنني أقتنص الحكمة وإن كانت في بئر عكر.

ويشتمل الكتاب على نقدٍ للأوضاع الاجتماعية والأنظمة السياسية، نقد لا يستهدف الإساءة لجهة بعينها ولا يسعى إلى رصد حالة دون سواها، بل يهدف الى توضيح صورة واقع أقل ما يقال فيه أنه منتج للعنف وموَلد للإرهاب، فانتقاد السلطة ليس إلا انتقاد للذات بحب كبير لكي تُمَاط الحجب عن عيونها، لأننا لو أردنا بنیان حکم بلا عیب لتوجب علينا أن نكون حَجراً خالياً من العيوب، فالسلام على الأرض لا يتحقق بعنف النفوس، فكل الكائنات ليست إلا درجات متحركة في سلم الكون اللامتناهي.

إنَّ انتقاد العنف وديمومة ماضيه الأليم، وفتح الأفق من خلال طرح رؤيةٍ لاعنفية تستند إلى أصالة التسامي اللاحدود

لوعي الإنسان، قد لا يوقف العنف ولكنها مساعٍ لا تنضب
لإمطة اللثام عن الإبداع والمحبة الكامن فينا أصلاً.

فما يقوم به دعاة اللاعنف قد لا ينهي الحروب ولكن قد
يجفف وقودها عبر إطلاق الوعي لدى الإنسان المتحكم بصناعة
الدمار، وهذه الأطروحات مثلها كمثل ماسحة زجاج السيارة
لا توقف المطر ولكنها تجعل رؤية السائق واضحة.

ولا أدعي في هذا الكتاب خلقاً جديداً أو فلسفة عظيمة،
بل هو مجرد إشارة الى أقوال من سبقونا من المستنيرين ممن
شقوا ثغرة نور في جدار العنف، أفتحها لمحبها ممن أراد أن
يتجاوز الواقع نحو أفق آخر مغاير ينعق به من أسر السلطة
وعنف المادة وصخب الإعلام الدعائي المضلل.

وإنني على يقين أن الأرواح تتعارف وتتآلف عبر الوعي
والتجارب وتتلاقى، وأن أي حوار مهما كان عفويًا، وقراءة أي
معلومة مهما كانت بسيطة وعابرة، تُشكل جزءاً من تجربتنا كبشر
وإننتاجنا الواعي منه وغير الواعي، لأن أفكارنا على حقيقتها
ليست إلا إعادة إنتاج لصوغ أفكار كل السابقين وحصيلة تراكم
خبرات الآخرين. و أنه "لا وجود لِمَا يَتَوَلَّد من ذاته بل من
تواجد أصوات متتابعة ومتراكمة" على حد قول ميشال فوكو.

"قلا الأفكار التي في رؤوسكم أفكاركم وحدكم إن هي إلا قطرات من بحر الفكر العالمي. فلكل ذي فكر شركة في ما تفكرون"¹

إنها محاولة، قد تصيب وقد تخيب، لشقّ ضباب الأحداث وظلمة الفكر وعمى القلوب، بحثاً عن صمت الضمير الأسمى حيث الكلمة الصادقة النابعة من معين الفهم الذي يُعرفنا إلى أي حدٍّ ترتبط به حقيقة وجودنا بحقيقة كل الوجود، فينتعق الإنسان في رحاب حيث لا حدود فيها ولا قيود، فتستريح آذاننا من صخب العنف الذي لا يهدأ إلى فضاء مشرق.

نعم؛ كتابٌ لا يخلو من لغو الكلام وكثرته و لو راجعتُ قراءته لحذفت جلّه وأبقيت منه بضع كلمات، فمن ألف كلمة فيه قد تكون واحدة لا أكثر جديرة بأن تُكتب تلك التي تحمل على أجنحة من المحبة وأما ما تبقى منه فهو ورق و حبر مهدور.

المؤلفة



1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، ط 9، دار نوفل، بيروت، لبنان 2001، ص 77.

شكرٌ وعرْفان

أُفِّ بِخُشُوعٍ قَلْبٍ مُّمْتَنٍّ بِالشُّكْرِ الْعَمِيقِ، لِمُسْتَنِيرِينَ كَثْرٍ مِمَّنْ كَانَ
لترجماتهم وكتاباتهم عميق الأثر في نماء معرفتي...

إلى المعلّم المخلص ديمتري أفيرينوس...الذي أُدين له بالكثير، وما فتئ
يَمُدُّ المكتبة بعميق التَّرجَمَات الفكرية، وَيَعْمَل بِصَمْتٍ عَلَى التَّدْقِيقِ
والتَّحْقِيقِ وكتابة المؤلفات اللاعنفية، وإظهار أَنَّ الْحِكْمَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ الْخَالِدَةَ هِيَ
ذاك الموروث الروحي الإنساني المشترك بين حَقِيقَةِ كُلِّ الْأَدْيَانِ وَالْفَلَسَفَاتِ
الْقَدِيمَةِ الْمُتَجَسِّدَةِ فِي تَعَالِيمِ الْحُكَمَاءِ فِي جَمِيعِ الْحَضَارَاتِ عَلَى مَرِّ الْعُصُورِ...

إلى الأستاذ نَدْرَةِ الْيَازْجِيِّ...الذي يُعَدُّ مِنْ أَوَائِلِ مَنْ فَتَحَ أَفُقَ
اللاعنف في المكتبة العربية عبر إصداراته القيمة.....

إلى محمد علي عبد الجليل الذي ترجم عن الفرنسية أعمال
الفيلسوف ومؤسس "حركة من أجل خيارٍ لاعنفي" جان ماري مولر
الذي يُعَدُّ مَرَجَعًا عَالَمِيًّا فِي نَشْرِ ثَقَافَةِ اللَّاعْنَفِ...

إلى هَفَّالِ يَوْسُفِ الَّذِي قَدَّمَ لَنَا عِبْرَ تَرْجَمَاتِهِ عَنِ الرُّوسِيَّةِ مَخْتَارَاتٍ
مُمَيَّزَةً مِنْ فِكْرٍ وَفَلَسَفَةِ الْمَفْكَرِ لَيْفِ تَوْلَسْتَوِيِّ....

إلى الأستاذ أكرم إنطاكي الذي ترجم كتابات وأقوال المهاتما غاندي،
وهو المؤمن دومًا أنَّ فاعلية اللاعنْف لا تكتمل إلا عبر فعل إنساني
وانفتاح عقلي...

إلى كلِّ من شارك وسأهم في حواراتٍ لا تُنسى خلال ورشة عمل
"اللاعنف وضبط النفس" في مَرْمِيتنا...

إلى من علّمني درس اللاعنْف بِشكلٍ عملي...

إلى طفلي وفیق...الذي طالما قاوم رَغْبتي "التسلطية" ببراءةٍ
طفولية ورفض الخضوع لإرادتي "الغاشمة"، مِمَّا شَفَّاني من غباء الاعتقاد
أَنِّي "مربيةٌ فاضلة"، وأختبرتُ بِإيمانٍ مقولة جبران: "إن أولادكم لیسوا
لکم...إنهم أبناء الحياة"

إلى سیر... الذي رَافقني واحترم خِياراتي الفكرية، مؤكدًا على
"أن اختلاف الرأي لا يُفسد للود قضية"، وأننا كعموديَّ معبدٍ نقف
منفصلين لنرفع بناء واحد...



مروة كريدية

دبي، صيف 2010

مَسْأَلَةُ الْعُنْفِ



بين عنف الخطاب و إكراهات الواقع



العنف الرمزي و الهيمنة

إن كان العنف هو تلك المقدرة على نعت الآخرين به،
فإن أفضل طريق للحدّ منه ربما يكون في التزام الصمت.
إن مسألة العنف وتعريفه وطرح مقاربتة مسألة مفتوحة،
تختلّف باختلاف الإرث الثقافي والاجتماعي واللغوي
والانثروبولوجي¹ للشعوب.

1 الأنتروبولوجيا Anthropology: علم الأناسة، مشتقة من اليونانية *ἄνθρωπος*، *anthrōpos*، "الإنسان"، و *λογία* أي علم، وكان أول استخدام لهذا المصطلح عام 1593، ويُقصد به دراسة البشر، في كل مكان وطوال الوقت، والأنتروبولوجيا لها جذورها الفكرية في كل من العلوم الطبيعية والعلوم الإنسانية.

فتعريف العنف يرتبط أولاً وقبل كل شيء، بإدراكات وتجارب جماعية وفردية، وبأفعال و ردود أفعال تتباين المواقف حولها بتباين الاستراتيجيات و المواقف، مما يفتح الباب أمام كل الاحتمالات، بما فيها حرب التعريفات.

وثانياً، أن كل حديث عن العنف يحمل في طياته اتّهامات تجاه الطرف الموصوف بالعنف كما يحمل حكماً على هذا الآخر بوصفه عنيفاً من خلال إتهامه و تجريمه وإطلاق الأحكام عليه.

إن تعريف العنف بوصفه خطاباً ومصطلحاً يصبح سلاحاً يُبرئ المتكلم المنتج للتعريف من جهة، و يَتهّم بل ويُجرّم المتحدّث عنه أو إليه من جهة أخرى.

وإذا ما ألقينا نظرة على تاريخ الشعوب نجد ان علماء الأنثروبولوجيا أطلقوا مصطلحات يمكن ان نصفها "بالعنصرية" تجاه شعوب ما قبل الثورة الصناعية، حيث سموها شعوباً "بدائية"، وهذا التصنيف والتعريف يحمل في طيّاته عنفاً رمزياً ومقنّعا، فالغزاة عبر التاريخ منحوا أنفسهم حق تصنيف الشعوب الأخرى التي غزوها وفق مصالحهم ووفق منظومتهم الفكرية والثقافية، فأطلق في كثير من الاحيان مصطلح "العنف" على بعض الطقوس والممارسات الثقافية للشعوب الاخرى التي كانت تُعد أعمالها هذه

جزءاً من تراثها، كما وصفت ردود أفعال تلك الشعوب تجاه حضارة الوافد الجديد بالعنفية، علماً أن تلك الشعوب كانت تُحاول أن "تدافع عن نفسها" ووجودها وفق "معتقداتها" ليس إلا.

إذن، فالمسيطر السياسي والعسكري يفرض عنفاً مزدوجاً مباشراً وغير مباشر؛ العنف المباشر من خلال اقتحامه أراضي تلك الشعوب، وعنف الخطاب من خلال تصنيفه وفرض خطابه عليها، فالعنف يتحدد في وضعية اجتماعية-ثقافية وسياسية معينة، يستخدم فيها "الأقوى" الضغط ومجموع الوسائل الأخرى من عنف الخطاب.

الأمر الذي يجعلنا نشكك في تعريفات العنف لأن أي تعريف يقدم للعنف لابد وأن يتضمن حيفاً وظلماً وشيئاً من الفوقية والعنصرية، حيث سيكون فيه رابح وخاسر، هذا عدا الخلفيات التي تقف خلفه. كما أن كل اتفاق يقدم باعتباره اتفاقاً من أجل السلم الاجتماعي، يُمكن لطرف آخر أن ينظر إليه من منظور العنف، فيجد فيه العنف قابلاً في قلب العملية السلمية، وما فلسطين والعراق عنا ببعيد.

ولتقريب الصورة على أرض الواقع بوصفنا شعوباً "عربية" قابعة في منطقة جغرافية ساخنة؛ نجد أننا نتعرض لاستخدام وسائل ضغط متنوعة وشديدة من قبل المتفوق

العسكري بحيث تعدم إمكانية الاختيار، بل وتعدم حتى إمكانيةها في الهروب أو في الانعتاق، أو في رفض الوضعية التي تفرض عليها كدول؛ إن هذا العنف يبلغ درجته القصوى عندما لا يعدم فقط إمكانية الإنسان في الرد، ولكنه يعدم الإنسان نفسه.

ومن حقنا كبشر أسوياء كاملي الحقوق الإنسانية إذن أن نتساءل عن وسائل الضغط التي تمارسها إدارات الدول الخمس في مجلس الأمن عندما تمنح نفسها حق فرض خياراتها على الشعوب الضعيفة، وأغرب ما في الأمر أن أحداً لا يعترض على مبدأ يناقض العدالة وهو "حق النقض الفيتو"!

وقد عرض المفكر جودت سعيد لذلك في أكثر من لقاء حيث قال "وحتى في الأمم المتحدة، حيث يكثُر الحديث والجمعجة والكلام عن العدالة والمساواة، فإنه عند التطبيق يكون الحكم عشائرياً، وما حق النقض (الفيتو) إلا حق عشائري، إنه حق القوي وليس حق العدل أو الإنسان، إذ لا يمكن أن يتلاقى حق النقض (الفيتو) مع حق الإنسان، ولو كانت حقوق الإنسان مرجعاً لألغت حق النقض (الفيتو).

ينبغي أن يتحول هذا الموضوع إلى علم قابل للدراسة والتحليل، لمعرفة آلياته وكيفية تكوّنه وصناعته، وما لم تنتشر

هذه الثقافة على أساس إمكان تحويل الناس إلى هذه العملية التغيرية، فإن عدم الوضوح وترسخ فكرة العشيرة الموغلة في القدم، سيبقينا في صراعات لا نهاية لها.¹

إذن، نجد أن تعريف العنف في هذه الحالة قائم على تحديد آليات إنتاج مختلف أشكال الضغوط والوسائل التي يصل الإنسان بها إلى إباحة القتل بحجة فرض "الديموقراطية" في العراق، أو "الأمن الوقائي" في فلسطين أو "مكافحة الإرهاب" في أفغانستان....

ويمكن أن نُقارن، على هذا المستوى، حالة العنف بحالة اللاعنف، أي بتلك الوضعية التي يكون فيها الإنسان متحرراً من الإكراهات و من وسائل الضغط والإجبار بحيث يكون المجال هو مجال الإقناع والتفاوض أو أي شيء من هذا القبيل. وهكذا، عوض أن يتحدث الناس عن العنف، يتحدثون عن حالة سلم أو سكيننة أو سلام.

إن شعوب الأرض بما فيهم من تنوع أديان وشرائع مجتمعية من نخب ومثقفين يتعرضون لضغط عنف الخطاب من

1 جودت سعيد، كن كابن آدم، دار الفكر المعاصر، دمشق، سورية، 1997، الفصل السابع، الأمم المتحدة والعشائرية.

قبل "الدول النافذة"، مما يحدّ من الحرية، ومن حرية النظر في الواقع المعاش؛ والعنف في هذه النظريات يعني سجن الإنسان من طرف الخطاب السائد في رؤية واحدة وصورة واحدة فقط لا غير؛ وإنتاج الخطاب السائد لنظريات واعتقادات ترفع أسوار الصمت حول نظريات أخرى مُمكنة، وتصورات مغايرة لنفس الواقع.

إن العنف الرمزي والهيمنة الرمزية لا تركز أساساً على الخطاب السائد في مجال المعارف والمؤسسات العقابية السجنية والممارسات العملية باسم القانون وحسب، بل بالضغط اليومية المُمارسة على الشعوب وتتدخلها المباشر حتى في الممارسات اليومية والمناهج التعليمية والعادات السائدة التي تكون الإنسان من خلال التربية و"التدجين" و"التطويع"، خاصة تربية الجسد ومتطلباته.

ويبقى عنف الخطاب و العنف الرمزي قابليْن لأن يُحدّدَا وأن تدرس فاعليتهما في مجالات عدة، فحينما تكون هناك شرائح اجتماعية تسعى إلى العيش حسب معايير مغايرة للمُعْتَقَد السائد او للمنظوم التجمعي المسيطر فإنه يتمّ إقصاؤها أو القضاء عليها بالقوة، أو بنوع آخر من النفوذ كالدعاية والتخويف التي

لا تقل عنفاً عن سابقتها، وخاصة النفوذ المنظم من طرف مجموعات أو شبكات أو تنظيمات أو حتى دول.

إن مشكلة العنف مشكلة شائكة. وأن حضور العنف قائم، وأن القضاء عليه أشبه ما يكون بالمستحيل.

وربما من الأحسن والأجدى أن نُفكر في الحدّ منه بالبدء بالاعتراف بأنه يسكننا ويطبع تركيباتنا التجمعية والثقافية بطابعه السلبي، و بالتالي لابدّ من التعامل معه على هذا الأساس، رغم أن هناك تصورات فلسفية أخرى معروفة ذهبت إلى القول بإمكانية "السلم الدائم"، علماً أنه لابدّ من الحذر في التعامل مع كل من أطروحة السلم الدائم حسب ما تدعيه الليبرالية، و أطروحة "العدل التام" تحت ظل المساواة التامة.

فمع هاتين الأطروحتين يتم إدخال المطلقات في السياسة؛ أيضاً ما تسميه اليوم بعض التيارات "بالنظام الديني" لأنه يدخل، هو أيضاً، مطلقات دينية في صميم الممارسات السياسية، وهذا خطر على المجتمعات إذ أنه يفتح باب تفشي العنف بدل الحد منه، ويسد باب الفرق والتمرن والتمرين على الحوار والاتفاق في ظل السلم النسبي، والقدرة على تنظيم العيش في أفق الحياة.



تاريخ من نار و فِصام حضاري!

"علينا أن نبذل بنيان مجتمعنا، مظالمه، مناقبيته الفظيعة،
التقسيمات التي اصطنعها بين الإنسان والإنسان، الحروب،
الافتقار التام الى المودة والمحبة الذي يدمر العالم"
كريشنا مورتى¹

1 جدو كريشنا مورتى، التأمل، ترجمة وتقديم: ديميتري أفيرينوس،
معايير للنشر، دمشق، 2008، ص 39.

خلال تطوّر البشرية في مسيرتها، عملت الأيديولوجيات الحزبية ومؤسسات "الدين" والمرجعيات "الروحية"¹ على تطويق رقاب الأفراد والجماعات وجعلت الشعوب عرضة للاستكانة إلى يقينيات وأفكار أدّت إلى انقسامات حادة، تحوّلت بموجبها الأرض إلى تجمّعات تقطّعتها كائنات عداوية، تُمارس الفوقية تجاه بعضها البعض وتستخدم العنف وتسوغه، بل وتجعله أولوية وسبباً لاستمرار وجودها وحقاً مقدساً دائماً من حقوقها المشروعة.

والعنف بكلّ أنواعه ومستوياته، يكتنّز طاقة سلبية مدمّرة، ورغبة عارمة بالانتقام من خلال العمل على تطويع الآخر وتأديبه وإذلاله وإدخاله في دائرة الخضوع والإذعان؛ هذه الطاقة ترتدّ بعنفٍ "مضاد" وطاقة سلبية مرتدة، قد تتدخل فيها عوامل أخرى محيطة بها تجعلها أكثر أو أقل تدميراً.

هذه التفاعلات تدخل البشرية في دوامة عنف حقيقية تعمل "السياسات الدولية واستراتيجيتها" على التخفيف من حدّتها في

1 عندما تنتقد المرجعيات "الروحية" واضعيتها بين مزدوجين فإننا نقصد بها التجمّعات المذهبية العنصرية التي تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة مسوّغة استعمال اللاهوت في ممارسة العنف ضد الآخر، في حين أن الإرث الروحي الإنساني الكوني للأديان يسمو عن التموضعات العنصرية ويجعل من الإنسان آدمياً يحقق كامل إنسانيته، ويرقى به عن العنف ليكون في تمام المحبة والعدل والسلام، لذلك فإن الغاية السامية تكمن في عودة الروح الإنسانية إلى منبعها الأصلي الأصيل.

مكان أو إزكائها من مكان آخر، وفق ما تقتضيه مصالح الدول التي تحركها دورة رأس المال والاقتصاد، حيث ان السلطة والمال متلازمان، وممارسة السلطة تقتضي استخدام العنف، وبين ثالوث السلطة والمال والعنف تُطْحَن الشُّعوب ويُستعبد الإنسان.

الإنسان محور التغيير

فهل هناك من يتحمل مسؤولية هذا العنف دون سواه؟؟ وهل هذا الاستبداد سببه حضارة بعينها دون سواها؟؟ أو سببه شعب معين؟؟؟ أو سياسات اقليمية ومحاور دولية؟؟ بداية يجب ان نقبل ونقرّ اننا ككائنات بشرية مازلنا نُمارس العنف ونعتمد أساليب عاجزة عن حلّ صراعاتنا المزعومة، وأنّ الأوضاع المتفاقمة تضعنا أمام خيار جديد مغاير للمقبول المتعارف عليه في حل النزاعات؛ فهناك حاجة إنسانية حقيقية لإحداث نقلة "نوعية" نغادر بموجبها مستوى الواقع العنفي المستمر إلى مستوى إنساني.

إننا نحتاج الى تغيير جذري في البنى النفسية المحرّكة للسلوك الإنساني، فالإنسان هو محور التغيير وتحقيق حريته هي السبيل الى السلام، وحرية الإنسان التي أعنيها هي حرية عارية عن اي شروط

وإشراطات، أنّها حرية تؤدي الى انفلات الكائن من قيود يزرع تحتها ابناء البشرية اليوم على اختلاف ألوانهم وألسنتهم.

كيف السبيل؟

الخطوة الاولى ربما تكون عبر "وعي" ما يدور حولنا، وتحقيق الانتباه واليقظة الى الشروط التي تتحكم بنا وتقودنا الى النزاعات والصراعات كلها، بدءاً من الصراعات الشخصية وصولاً الى الحروب المدمرة، وذلك عبر جلاء "الرؤية"، التي لا تتحصل ونحن نحمل في اذهاننا صوراً جاهزة مُعدّة سلفاً عن الاشياء والامور؛ وهنا يبرز دور "وسائل الاعلام" السلبي الحالي، التي تعمل ليل نهار على "تكريس الصور النمطية الجاهزة" عن الاشياء.

ان يقظة الوعي تعني مغادرة واقع الصورة المتخيلة في الذهنية المثقلة بالأحكام المسبقة الى رؤية ماهو موجود فعلاً. إن ذهنًا مثقلًا بالأفكار المسبقة الجاهزة عصيّ حتمًا على الحرية. فالحرية هي حالة لا تقبل الشرك لأنها عالم بلا صور ولا ذاكرة، وصفائها لا يتسع لثرثرة الفكر وتشويشه.



ذاكرة العنف

بين السيرورة التاريخية و الذات الحضارية

إن "رؤية" الصراعات الحالية يقودنا بسهولة الى معرفة انّ هناك رغبة عارمة عند الفرقاء المتنازعين نحو مزيد من "الأنوية الحضارية"، فهذا شيعي والآخر سني، وهذا مسيحي والآخر يهودي، وهذا كردي والآخر عربي، وهذا كاثوليكي والآخر أرثوذكسيّ والعقلية التجمعية مثقلة بالأحكام الجاهزة المعلّة

سلفاً لإدانة كل طرف للطرف الآخر، إنّ عقلية كهذه لا يمكن أن تكون سلمية على الإطلاق وأن اتخذت من الشعارات أنبلها! إننا كأفراد شاءت الأقدار أن نكون أبناء منطقة تُعد الأكثر سخونة في العالم، بل وأكثرها استقطاباً للعنف وتوليداً له، نحتاج لأن نضع أيدينا على جراحنا النازفة بعيداً عن أية نماذج ترقيعية عبر حلول متكاملة تعبر فينا من واقع الصراع الى واقع الإنسان ومنها:

• أولاً: الخروج عن جلد الذات المجتمعية والأنوية

التجتمعية والمقارنة الحضارية:

فنحن لسنا خير أمةٍ أخرجت للناس ولسنا أسوأ أمة عرفتها البشرية، ولسنا شعبٌ مختارٌ كما أننا لسنا شعوباً "سائمة"، أننا ببساطة "نحن على ما نحن عليه". إن المقارنة الدائمة بين الذوات والحضارات التي لم تهدف سوى لاثبات تفوق مجموعات بشرية على أخرى، أوقعتنا في "عقد دونية" مقبلة وانتماءات وعصبيات، اتخذت من ردود الفعل العنيفة سيلاً لها للدفاع عن "ذات منجرحه" خائفة على هويتها وصيرورتها، المشحونة بالانفعالات الغريزية، التي تعكس

غطرسة البشر تجاه بعضهم البعض، وقسوتهم من أجل إرضاء تفوقهم الذاتي، وغرورهم بحجة انهم ابناء الله واحباؤه، وبحجة انهم يأمرّون بالمعروف وينهون عن المنكر!

ان "العرب" على سبيل المثال لا الحصر اعتادوا بشكل دائم على مقارنة حضارتهم بحضارة الآخرين، الأمر الذي أوقعهم إما في "نرجسية مرضية قاتلة" أو في "عقلة دونية مميتة"، بحيث أدانوا أنفسهم بشكل مبالغ فيه، أو رفعوا من قدر أنفسهم لدرجة التآليه، وإليك المقالات اليومية مثالا ينهال اما "جلدًا للذات حضارية" او "دفاعا عنها".../اننا ككائنات إنسانية لا نحتاج لهذه الدوامه أبداً، بل الأجدى ان نصمت ونعمل بشكل بناء ونكون أكثر فعالية في اثراء الحضارة الإنسانية ككل.

● ثانياً: نقد الذات ومغادرة الذاكرة؛

إنّ عدم إدانة أنفسنا والتوقف عن جلدنا للذات، لا يعني ان لا ننتقد ذواتنا الحضارية؛ بل لا بد من تفكير نقدي هادئ وعميق يُخلصنا من ذاكرتنا التاريخية المثقلة بالجراح؛ ان مغادرة الذاكرة تُحدث يقظة في إنسانية الحضارة، وهي خروج عن مألوف الثقافة ومغادرة الماضي المستمر إلى غير رجعة.

• ثالثاً: التحرر من الفصام الحضاري؛

ان غالبية شعوب المنطقة، بكل مذاهبهم واثنياتهم يدينون بأديان توصف بأنها "سماوية"، وهي التي كانت في معظم الأحيان مُحرك الحروب والغزوات ووقودها! فهل يكمن المشكل في جوهر الاديان الداعية للمحبة وسلام الارواح؟؟ أم في الممارسات القائمة على محاكمة الآخرين الخاضعة لشروط الذاكرة التاريخية الدامية؟؟

اننا نجد انفسنا أمام تعقيدات حقيقية ولا منطقية، غير أننا نستطيع ان نستخلص أن حضارات و أديان الأرض تعاني من "فصام حضاري" بالغ بين الدين حقيقة والدين كجوهر، و"الدين" كممارسات وسياسات خاضعة للأحوال والأزمنة ولشروط الذاكرة الحضارية المثقلة بعداء الأمم تجاه بعضها البعض.

فالحضارة لا يمكن أن توصف بأنها إنسانية، ما لم يكن الإنسان فيها حراً متسامياً خارجاً عن توترات وأزمات التناقض والصراعات، بحيث لا يكون نتاجاً رخيصاً لضلالات الأمراء والحكام ورجال "الدين" ولتفاهات المتحارين، وليس الباحث عن تفوق ذاتي أنوي.... فهل هذا الطرح مجرد "كلام بكلام"؟؟

لا، إنه بكل بساطة خطوة نحو إنسان حرّ ينتمي لكون
يشع سلاماً! وإن أول الحكمة أن نعي إنسانيتنا! ولا يَظُنُّ أحد أن
بقاء الإنسان يكون بزوال سواه!
ولن تبقى أجسادنا وقود تاريخٍ من نار!



الحقيقة
وتجليات العنف

事实 感

قراءة في مفهوم الحقيقة و هواجس السلطة



الحقيقة من منظور اللاعنف

"إنسان يصرُّ جهراً على "امتلاكه" الحقيقة إنسان خطر"¹
جان ماري مولر

تأخذ السُّجلات الفكرية والسياسية طابعها الحادّ العنيف عند تقابل "المقدسات" خلال طرح القضايا المعاصرة، حيث يعتمد كل فرد من موقعه على تقديم "مقدسه" ليواجه "مقدس" الآخر، وتأخذ "الحقيقة" عندها بُعداً "لاهوتياً"

1 جان ماري مولر: قاموس اللاعنف، ترجمة محمد علي عبد الجليل ومراجعة ديميتري أفيريوس، معابر للنشر، دمشق 2007، ص 105

"انطولوجيًّا"¹، وتعلو أصوات "التكفير"، أو "التَّخوين"، أو "التنكر للأصل".

وعندما يستلِّد الفرد بنصوص توصف بـ "المقدَّسة" سواء كانت قدسيَّتها "لاهوتية" مُستَمَلَّة من نصوص "الدين"، أو كانت "قدسيَّتها قانونية" مستمَلة من "نصوص دستورية"، أو كانت قدسية "اجتماعية" مستمَلة من "الأعراف والتقاليد"... فإنه يُقدِّم "مجرد آراءه" على أنها "مسلِّمات بديهية" لا تقبل النقد ولا حتى التحليل ناهيك عن النقض.

وعندما تتحول مفاهيم "الحقيقة"، إلى مفاهيم أنطولوجية يتحول التأويل معها إلى مفهوم إبستمولوجي². فالخطاب الديني

1 انتولوجيا انطولوجيا: ontology. مشتقة من اليونانية ὄντος، ὅν بمعنى الكينونة وλογία اي علم او دراسة؛ والانطولوجيا هو علم الوجود، هو أحد الأفرع الأكثر أصالة وأهمية في الميتافيزيقيا. يدرس هذا العلم الكينونة being أو الوجود existence إضافة إلى أصناف الوجود الأساسية في محاولة لتحديد وإيجاد أي كيان أو كينونة entities وأي أنماط لهذه الكينونات الموجودة في الحياة.

ملاحظة: يجب التمييز بين ontology وanthology؛ يلتبس المصطلحين المتغايرين عند الدارسين في اللغة العربية حيث يشتركان في اللفظ والكتابة، أنطولوجيا (بضم الألف) ontology بالفلسفة تعني علم الوجود وأنطولوجية (بفتح الألف) anthology المشتقة من اليونانية ἀνθολογία هي طريقة لجمع المختارات والمقتطفات وتنظيمها في الأعمال الأدبية التي يتم جمعها عادة في مجلد واحد.

2 الاستيمولوجيا Epistemology: مشتقة من اليونانية ἐπιστήμη اي المعرفة، λόγος اي علم؛ الاستيمولوجيا: هو علم المعرفة او علم النقد او دراسة العلوم النقدية، فلسفة العلم، و تعتبر نظرية المعرفة أحد فروع الفلسفة الذي يدرس طبيعة ومنظور المعرفة.

المُعاصر كما السياسيّ، مازال يتعثّر في محاولاته لتجاوز الإزدواجية المفاهيميّة، من خلال الإيمان بحرفيّة الدّلالات، ونَجِد أنَّ الخطاب السائد إعلاميّاً، سواء في دور العبادة أم الفضائيات، ينفي عن عالم "اللاهوتيات" و"الشرعيات" خاصيّة الإزدواجية الدّلالية، والأخطر من ذلك أنّه يُمارس تأثيره على مستويات بنية الوعي كافّة بما فيها الاجتماعي والحضاري.

ويصف جان ماري مولر¹ مدعي "امتلاك الحقيقة" بالخطر كونه "لا يتوانى عن الإغارة على الضلال وعن مطاردة الكافرين والزنادقة والمرتدين. فالإنسان الآخر الذي لا يفكر على شاكلته هو عدوه حتماً: فهو ضالّ وتجب هدايته؛ وإذا رفض الاقتناع، يجب إكراهه على ذلك. عندما تتجمد الحقيقة في معرفة عقائدية dogmatique تصير عامل تفرقة ونزاع وإقصاء وعنف. فالإيديولوجي² العَلَماني والأصولي الديني يشنّان المعركة "التفتيشية" نفسها ضدّ المنحرفين والضالين والمنشقين والخونة؛ فكلّاهما لا يتورع عن اللجوء إلى العنف لإحقاق الحقيقة. بهذا تصير الحقيقة لإنسانية وقاتلة: يقتل الإنسان باسم الحقيقة.

1 المرجع السابق نفسه ص 105 - 106.

2 الأيديولوجيا ideology، مشتقة من اليونانية *idéa* أي الفكر و *lógos* أي علم، وهو مصطلح عريض واسع الانتشار يعني العقيدة السياسية أو المذهب الفكري.

إن الإيديولوجي والأصولي، في الواقع، هما اللذان يضِلان وينحرفان. إذ أنَّ حقيقة الإنسان لا يُكوِّنُها مذهبٌ عقائدي يصير سلاحًا لقتال الآخرين من البشر. إنَّها، قبل كلِّ شيء، محلٌّ لبحثٍ وتقبُّلٍ لطلب.

تكمُن الحقيقة في حكمة عملية تتطلب إعمال العقل والإرادة لبناء علاقة مع البشر الآخرين، عبْرَ النزاعات نفسها، على أساس الاحترام وحسن النوايا. ومثل هذه العلاقة تستبعد كلَّ سوء نية وكلَّ عنف. إن الإنسان، في طلبه للحقيقة، يصطدم بشكوك كثيرة. لكنه، حتى دون أن يعرف الحقيقة، يتعلم ما هو نقيض الحقيقة: عكس الحقيقة هو العنف الذي يبرِّح بالإنسانية. وبهذا المعنى، يؤسّس اللاعنْفُ حقيقةَ الإنسان؛ وهذه الحقيقة، ما من أحد يجوز له أن يزعم "امتلاكها"، بل ليس لأحد سوى الاجتهاد للتقرب منها.

ما إن تُتصوّر الحقيقة وتُدرك كإيديولوجيا موجودة خارج الإنسان حتى تصير العلاقة التي يقيمها الفرد مع الحقيقة كالعلاقة التي يعقدها مع غرض تمامًا. إذ ذاك يمتلكها كمن يحتفظ بشيء في حوزته؛ يعدُّ نفسه مالكًا للحقيقة، فيأخذ على عاتقه واجب الدفاع عنها كمن يدافع عن ملك له. وهو لن يتورع عن اللجوء إلى العنف، بل القتل إذا لزم الأمر، دفاعًا عن الحقيقة.

إذن فالدَّاء يكمن في إدعاء العلب الفكرية أنها هي الوحيدة على صواب وان الحقيقة ملك حصري لها!

يقول نيكولسكو بسراب: "إن كلَّ إيديولوجيا أو كلَّ
تَعَصَّبَ يطمح إلى تَغْيِير وجه العالم يتأسس في النهاية على
الاعتقاد بتمام مُقْتَرَبه. إن الإيديولوجيات والتعصبات التي نحن
بصددها على يَقِين من أنها تمتلك الحقيقة كلَّ الحقيقة.." ¹

في هذا السياق تقع الإدانة والإدانة المضادة "ويحتمل أن تؤدي
هذه الإدانة إلى إنكار العقيدة، أو الموقف الفكري الذي لا يتوافق مع
هيمنة العقيدة السائدة التي تدعي الحق بامتلاك الحقيقة المطلقة.
وهكذا يصبح العالم حلبة صراع تُستبعد فيها الحقيقة، والمحبة،
والحكمة والوعي ويسود فيها الجهل والكرهية والنفور" ²

1 بسراب نيكولسكو، بيان العبرمناهجية، ترجمة: ديمتري أفيرينوس، سلسلة آفاق2، مكتبة
إيزيس، دمشق، سوريا، ط 2000، ص 62.

2 ندرة البازجي، ثقافة الحوار والتسامح، مطبعة البازجي، دمشق، سوريا، 2008، ص 24

التعددية الدلالية والحوار التواصلي¹

إن فكرة "التجديد اللاهوتي" التي طرحها محمد أركون² في معظم أبحاثه من الأهمية بمكان إن أردنا تقدّمًا فعّالاً على مستوى الفكر البشري عامة، لتوحيد الفعالية المعرفية في المجال الحاسم عن آثار المعنى، أي انفتاح العقائد على مكتسبات علوم الإنسان والمجتمع مع التحضير لكي ندخل في حوارات خصبة حول عمليات اختزال الذات البشرية، وحلّها، ونفيها، وتدميرها...

إن عملية الخروج من دائرة العنف يفترض أن يتحمّل علماء الأديان النقيدين، والفلاسفة، والمفكرون، والنخب مسؤولياتهم في البحث في مشكلات المضمون "المعنى" ليس داخل الموروث الحيّ الخاص بدينهم أو بطائفتهم وإنما في تراث

-
- 1 بالامكان العودة إلى بحث الكاتبة المعنون حوار الحضارات بين العقلية الدوغمائية والعقلية التواصلية، بيروت، لبنان، 2002
 - 2 محمد أركون، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الاسلامي، دار الساقى، بيروت 1999، ترجمة هاشم صالح، ص 260

جميع الأديان، حيث يتمّ تجاوز العقائد المغلقة "الدوغما" لكل الأطراف، بهدف تحقيق قواعد التواصل ما بين "الذوات الحرة"¹ والتدخل فيما بينها لاسيما وأن "الحكمة" هي الموروث الروحي المشترك لكافة الأديان والفلسفات والتي تجسّدت عبر الأزمنة وما فتئت تتبلور في تعاليم العرفاء والحكماء عند كل الشعوب.

إنّ عودة الإنسان الى روحه الحقّة تجعله "أخاً" حقيقياً لكل الكائنات الإنسانية، بل وأبعد من ذلك تجعله متناغماً متوصلاً وجزءاً لا يتجزأ من مفردات الطبيعة والكون فالمشترك الروحي الحكيم بين "الذوات الحرة" هو أساس التوصل إلى فعل لا عنفي كونها العائق الأكبر المحرر من سجن "الأنوية"، وهذه المشتركة الكونية تُطبّق فيما وراء إكراهات أنظمة التصوّر والقيم الخاصة بكل نطاق جغرافي تاريخي موصوف باسم الحضارة.

إن اللاعنّف هو تأكيدٌ على إنسانية الإنسان والعمل على إعادة الروح إلى منبّعها بعيداً عن كلّ إكراهٍ، وإنّ بدا أنّ العنّف

1 إن الأخوة الإنسانية تفترض أن "الآخر" هو جزء من "الذات" وأن حرية الذات تعني الانعتاق من "الأنوية" الأنانية.

"ضرورياً" لاستعادة "حق" فهذا لا يعني أنه "مشروع"
فالضرورات الحقوقية لا تبيح المحظورات العنفيه ولا تُشرعُ لها
بحالٍ مِنَ الأحوال.

"و الصَّالِح هو ذلك الذي لا يفصل ذاته
عن جميع الذين يحسبهم العالم أشراراً"¹

1 جبران خليل جبران، رمل وزبد، الأعمال المعربة الكاملة، دار ومؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، طبعة عام 2008، ص 132.



المفاعيل اللاعنفية لتعددية الحقيقة ونسبية المعايير¹

"أعتقد بوجود حقيقة، لكنني لا أعتقد بأنني سأكون على يقينٍ منها أبداً"

ديفيد مكرينولدز²

"أنا لا أعرف الحقيقة المجردة، ولكنني أركع متضعاً أمام جهلي، وفي هذا فخري وأجري"

جبران خليل جبران³

1 هذا البحث كانت قد تناولته من بعض جوانبه في كتاب فكر على ورق"، الصادر 2009 عن دار الدوسري في البحرين، ص 50.

2 ديفيد مكرينولدز، فلسفة اللاعنف، ترجمة: ديميتري أفيريئوس، معابر للنشر والتوزيع، دمشق، 2009، ص 11.

3 جبران خليل جبران، رمل وزبد، مرجع سابق، ص 117.

يقف الفرد منّا اليوم أمام واقعٍ كونيٍّ مُتسارعٍ ومنفلتٍ في آن، وسط تشابكٍ وتعقيدٍ بالغين، من حيث سيورته وصيروتته، فينظر بعين تعددية الأبعاد، فيجد تحدياتٍ لا تُجابه إلا بالعمل وفق معايير متعددة، وأنظمة منفتحة متحركة ومتعددة التركيب، فلا بأس وفق هذا التصور من التعدد ولا خوف من الالتباس والازدواجية، وهذه الأطروحة تتبلور من خلال:

تنوع الحقائق وأصولها (أو بتعبيرٍ أدق: عدم تَمَطُّق الحقيقة)¹، وتعدد الرؤى وألوانها، وتشابك المصائر وتعقيداتِها، ونسبية الأعمال ومعاييرها...

وفي هذا السياق يشير مولر² " أن " الحقيقة " تصير حاملاً للعنف بمجرد أن تَتَمَطُّق تتخذ صفة الإطلاق s'absolutise ولا تترسّخ في فريضة اللاعنف. فإذا لم تقض الحقيقة بنزع شرعية العنف من الجذور، ستأتي لا محالة لحظة يظهر فيها العنف بالطبع كوسيلة شرعية للدفاع عن الحقيقة. يتيح الاعتراف بفريضة اللاعنف رفض الوهم بتأناً، ذلك الوهم الذي تحمله الإيديولوجيات وجميع الخطابات التي يستوحىها المنطق السليم

1 الحقيقة ينبغي ألا تتخذ صفة الإطلاق لأنها لو كانت كذلك فإن مدعيها سيجد الشرعية لممارسة العنف بحجة الدفاع عنها.

2 قاموس اللاعنف: مرجع السابق ص: 106

منحرفاً والحماقةً مستشريةً، وهم أن من الضروري والعاقل اللجوء إلى العنف دفاعاً عن الحقيقة.

إنّ اللجوء إلى العنف يعني قولاً واحداً اتخاذ موقع لا يمكن للحقيقة أن تكون فيه. ندّعي خدمة "الحقيقة" والدّفاع عنها بالعنف، ولكنّ "الحقيقة" هي التي تخدم العنف وتدافع عنه في واقع الأمر. وفي هذا التحالف الشاذ، يكون ما يتعرّز هو العنف، لا الحقيقة.

كل شيء يجري وكأنّ الحقيقة هي التي تحكم لصالح العنف، بحيث يبدو العنف نفسه حقيقياً. فالعنف ينتصر سلفاً ويفرض نظامه مادام حاصلاً على تواطؤ الإنسان فكرياً. أما في الواقع، فالعنف ضلالة؛ وضالّ كل مذهب يزعم تبرير العنف، أي جعل العنف حقاً للإنسان. فالعنف يعيق سيرورات الحقيقة التي يمكن لها أن تُخلق بين البشر."

وينبغي على هذا التصور لمفهوم الحقيقة أمور منها:

إن هذه الأطروحة تلغي منطق الادعاء بالتحكم بالقوانين، فيما يتعلق بالقوانين الواقعية، أو النظم السياسية، أو الشرائع الدينية، أو القوانين الوضعية... لأن القوانين والنصوص كلّها بما فيها "اللاهوتية"، هي في النهاية أحد أشكال الخطاب، والخطابات متساوية في كونها خطابات ولا أحد منها يمتلك الحقيقة.

هذه الأطروحة تقوِّض الأنظمة الأحادية والتوتاليتارية الشموليّة، بما فيها الليبرالية الشمولية، والعلمانية المتطرّفة، فتُسقط كل أشكال النماذج الأبدية الاحادية، التي تمنح نفسها الحقّ الحصري في منح صكوك الوطنية، والديموقراطية، والحرية، والغفران السياسي منه والديني على حدّ سواء، وتُصادر الحقائق وتحتكر التفسير وتُجبر كل الكائنات المحيطة بها على اعتناق تأويلٍ واحدٍ هو ما تزعم انه "حقيقة" أكيدة.

من مفاعيل هذه الرؤيا أنّها تكسر صورة النموذج من الذهنيات وتُلغي المنطق القائم على التّماهي بالمثل، حتّى على المستوى الفردي طالما أن الأصل مزدوج ومتنوع، فكل كائن حالة قائمة لا يتطابق مع نفسه أو يتساوى مع ذاته، ولا يوجد ذات وآخر، لأن الآخر يَخْتَرَقنا بشكل دائم ونَحْن نَخْتَرِقه، وقد تتنوع الأطوار بين الافراد فالغير قد يكون ما كنّا نحن عليه، أو ما نرغب ان نكون عليه، أو ما نحن عليه الآن، او ما نُخْفِيه، لذلك فإن التعامل من منظور الذات المتنوعة المتطورة يجعل كلّ البشر في الأرض شركاء بعضهم البعض.



اللاعنف وإدارة الهيمنة

"ليس بوسع اللاعنّف، من حيث طبيعته، "الاستيلاء"
على السلطة ولا يمكن أن تكون هذه هي غايته، لكن بوسع
اللاعنف أن يفعل ما هو أكثر من هذا. بوسعه أن يُشرف
وَيُراقب السلطة بفعالية دون أن يستولي على أجهزة الحكم"¹
المهاتما م.ك. غاندي

1 المهاتما م. ك. غاندي: كتابات وأقوال، ترجمة: أكرم إنطاكي، تدقيق: هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق، 2009، ص: 72.

لا شك في أنَّ مفهوم "السلطة" يُشكل نقطة محورية لفهم العلاقة الجدلية القائمة حول إدارة "الهيمنة" والنفوذ وموازن القوى، وقد حَمَلَ هذا المفهوم تشابكاً غير مسبوق، وتعقيداً بالغاً مع تطوُّر الحياة المدنية، الأمر الذي جعل الفكر "السياسي -الاقتصادي -الدعائي" هو المحتكر والمتحكِّم للحديث عن السلطة، وغالباً ما تُعرَّف السُلطة، بأنَّها سلطة الدولة، أو السلطة السياسية وأنها عبارة عن مؤسسات وأنظمة وأجهزة، تُخضع المواطنين أو الرعايا لقوانينها داخل حدود دولة ما.

لذلك فإن مفهوم السلطة بهذا المعنى يُشكِّل نظاماً من السيطرة، والهيمنة، التي تُمارسه فئة ما على فئة أخرى، مُتَّخِذَةً بذلك صُوراً علةً، منها صورة العنف تارة وصورة القانون تارة أخرى.

بهذا الوصف، تبدو السلطة كظاهرة، أداة إيديولوجية، وأداة عنفية قمعية، تسعى لإعادة إنتاج شروط إنتاج العنف وعلاقاته، بهدف تغليف تناقضات مجتمع ما، وربطه وتوحيده.

إذن بهذه الصورة المقيتة للسلطة فإنَّ فلسفة اللاعنْف ترفض "السلطة" بطبيعة الحال لأنَّها تتنافى من حيث الأصل والجوهر مع مفهوم للاعنْف الكونوي، وفي هذا السياق يشير ندره اليازجي¹ إلى

1 ندره اليازجي، العنف واللاعنف في الطبيعة والإنسان، مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا، ط 2008، ص: 27.

أنَّ شهوة السلطة وهي التسلط دليل على العنف حيث يكمن الصراع فيها، معتبراً أنَّ المفهوم السلطة بمفهومها الإنساني تعني الخدمة فقط وهي السلطة الواعية التي يتمتع بها الحكماء.

لذلك نجد ان السلطة بمفهومها الحالي السائد هي مأساة للإنسان الأنانيّ لأنّها تعبير عن العنف الكائن في داخله حيث يعتمد الإنسان الى التخلي عن حقيقته، وحقيقة الخدمة، ليخضع الآخرين لمظاهر العظمة الفارغة.

أمّا جان ماري مولر¹ فهو يُصرّ على أن يُميّز في المصطلحات معتبراً أن "السُّلطان" لا عنفي في جوهره حيث يقول: "يجدر بنا، بادئ ذي بدء، أن نُميّز بين "السُّلطان" autorité وبين "السلطة" pouvoir وأن نصرّ على هذا التمييز. فما يميّز السلطان، سواء كان سلطان شخص أم سلطان مؤسسة، هو أن الذين يوعز إليهم أن يتبعوا نصائحه وتعليماته يعترفون بمرجعيته.

فطاعة المرجعية تحظى بالقبول؛ إذ إن ما يربط بين صاحب المرجعية وبين الخاضع لها ليس توازن قوة، بل علاقة ثقة - حتى إن كلام المسؤول نفسه يصبح "حجة يُرجع إليها". مذ ذاك، لا تلزمه أية وسيلة إكراه لفرض هيئته.

1 جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، مرجع سابق، ص 144.

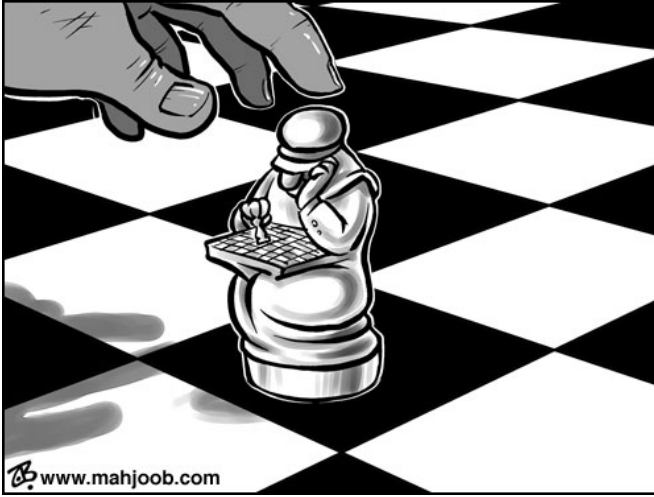
مع ذلك، لا يقتضي السلطانُ سلفاً علاقةً مساواة بين صاحبه وبين التابع له؛ فالسلطان، بطبيعته، ينطوي على ترابعية هرمية. إن المعادلة الشخصية لصاحب السلطان أهم من الوظيفة التي يُمارسُ باسمها مرجعيته. نتكلم هنا عن "سلطان معنوي" لرجل قد يتفق له أو لا يتفق أن يمارس وظيفة سلطة، لكن علمه وكفاءته وخبرته ونزاهته واستقامته وحكمته تبعث على الاحترام. إن ما يشكلُ قوّة السلطان هي إرادته أن يعدل على الدوام: فمن يُمارس السلطان يفقده حالما يجيد عن صراط العدالة. يحترم السلطانُ حرية الذين يقوم عليهم.

اللجوء إلى العنف هو إقرار بالضعف عند صاحب السلطة؛ والعنف يُفقدُه سلطانه. السلطانُ لا عنفي في جوهره. فالعنف عاجز عن إيجاد السلطان من جهة؛ ومن جهة أخرى، عندما تُجرد السلطة من السلطان، لا مفرّ لها من اللجوء إلى العنف. إذن فمن قبيل الوقوع في لبس كبير تعريفُ استعمال العنف بوصفه الممارسة السوية للسلطة. لا جرّم أنّ في إمكان العنف أن يُرغمَ على الطاعة، لكنّه لا يقدر أن يكون بديلاً عن السلطان، بل هو نفيه دوماً.

يقول جبران:

"إنّما الرجل العظيم ذلك الذي لا يسود ولا يُسَاد!"¹

1 جبران خليل جبران: رمل وزبد، مرجع سابق، ص 137



تفكيك مفهوم السلطة وتأريخ الحقيقة

إنّ مفهوم السلطة¹ إذن كما هو "مُتعارف عليه" والسائد في أذهان الناس: بوصفه السلطة السياسية المتبلورة في مؤسسات تُخضع رعايا حُدود جيوسياسية معينة، أخذ يتفكك مع بعض الفلسفات المعاصرة، ويُعد نيتشه من أوائل من حاول تفكيك مفهوم السلطة، مركزاً على **العنصر التفاضلي**²، لتحديد و توليد القيم

1 هذا المبحث تناولته المؤلفة أيضاً في كتابها "فكرٌ على ورق". أما في نقد السلطة السياسية فيمكن العودة الى كتابها: "أفكار متمردة في الفكر والثقافة والسياسة" القسم الاول بعنوان تكنولوجيا السلطة في الأنظمة الرعوية.

2 Nietzsche, Humain, trop humain. T1, trd. R.Rovini. Idées Gallimard, 1968, préface, p7

أياً كانت، الأمر الذي يقسّم البشر والمجتمعات، بكل موضوعاتها المتعلقة بها ورموزها، إلى تعارضات متنوعة ومختلفة في آن معاً، فيغدو العالم من وجهة نظر نيتشه، مجموعات متنافرة متناحرة، تتصارع بهدف الاستحواذ على كميات الواقع.

كما أنّ بعض التيارات الفكرية والاتجاهات السوسيولوجية، حاولت أن تنتزع من الفكر السياسي، إحتكار مفهوم السلطة، ومع هذه التوجهات تكون السلطة السياسية أحد أوجه السلطة وليس كلّها، وما هي إلا الأشكال التي تنتهي إليها السلطة، فهناك سلطة الأسرة، والعمل، والمال، والعقائد، وتأويل النصوص، والمعرفة...

لقد استطاع ميشال فوكو¹، أن يستلهم نيتشه، في حديثه عن القيم والأخلاق، ليتكلّم عن السلطة، مُتَجَاوِزاً الطرح المنهجي نحو الطرح الأركيولوجي التاريخي، من خلال ما عُرِف بالـ "جينولوجيا" أيّ تاريخ الحقيقة، فهذه الأخيرة تُعدُّ الأداة التي تسمح للفلسفة بأن تلتقي بالتاريخ؛ يجعل الفلسفة تتخلى عن منطلقاتها الميتافيزيقية، والدفع بالتاريخ إلى أن يكون اهتماماً بما يُحدث فعلاً في جميع مستوياته المختلفة.

1 Michel Foucault ; les mots et les choses ; Gallimard, 1966, p. 12

لقد انطلق فوكو من أرضية متحرّكة لعلائق القوى، التي تُولّد دونما انقطاع، وبهذا المنظور، فليست السلطة بالضرورة هي رأس الهرم وحسب، وليست هي نابعة دائماً من الأعلى، فهي ليست فوقية دائماً، بل هي "محيطة" تأتي من كل صوب، وذلك بسبب أنّها متولّدة، تتفاعل في كل لحظة، فالكائن يقع تحت سلطة مكوّنة من شبكة علائقية من مجموعة سلطات متفاعلة فيما بينها بشكل دائم.

فالفرد محكوم بسلطة الإدارة التي يعمل بها، وسلطة منظومته العقائدية التي يؤمن بها، وسلطة العادات والتقاليد التي يمارسها، وسلطة الأسرة التي ينتمي اليها، وسلطة الدولة التي يعيش فيها، وهكذا فالإنسان محكوم بسلسلة لا متناهية من السلطة المحيطة به بشكل دائم، ومستمر، ومتفاعل، و"مولد"، ومركب في آن، مجموعة هذه التفاعلات تشكّل له واقعه.

وبهذا التوصيف فإن التركيبات المجتمعية، لا تقوم على الثنائية الضدية، فالمجتمع لا ينقسم الى أقياء وضعفاء، رؤساء ومرؤوسين وحسب، بل هناك مجموعة علائقية لقوى متنوعة متعدّدة، تتكوّن منها أجهزة الإنتاج وتعمل من خلالها، وتُشكّل المؤسسات الحامل للانقسامات والنزاعات والرابط بينها.

والسلطة بهذا الوصف ليست إلا حركة، بواسطتها تُحوّل القوى فتخفف من حدة قوى لحساب قوى أخرى، أو تزيد من حدة قوى، أو تعمل على قلب موازين بفعل "الصراعات" التي لا تتوقف. إذن السلطة -بحسب هذا الطرح- هي الاستراتيجية التي تؤثر في القوى وتُجسد أهدافها، وتبلور من خلال مؤسسات الدولة وأجهزتها كما تبلور في القوانين وكافة أشكال الهيمنة المجتمعية الأخرى.

يُمكن القول أن السلطة بهذا المعنى ليست "منصبًا" أو شيئًا ملموسًا، تُمسك به، ونحتكره، ونتصارع عليه، فالسلطة استراتيجية ممارسة، تنطلق من نقاط لا تنحصر في خضم بحر من العلاقات المتحركة، وغير المتكافئة، مهمتها الأساس أن تنتج الواقع في أحدى مستوياته بكل تعقيداته وتعددته وغليانه.

إن أهمية جنولوجية الحقيقة هذه، تكمن في كونها، أبرزت علاقة الحقيقة بالسلطة، فهذا الجانب هو الذي استعاده فوكو من نيتشه، وطبقه على موضوعات لم يكن تاريخ الفلسفة يحفل بها. فلقد لاحظ فوكو أن ما ندعوه حقيقة، هو نتاج لصراع القوى، ودخول قوة في علاقات مختلفة تتسم بالصراع، ومن ثم بالهيمنة، وبالسيطرة لأن ما يسمى بالواقع ليس ذلك المجال الساكن

والهادئ الذي ينتظر فاعلا من الخارج لكي يؤثر فيه، بل الواقع يعجّ بالصراعات التي لا تنتهي¹.

إذ حينما يلتقي فعل بفعل آخر ينتج عنه صراع القوى، فتتزعّ كل قوّة إلى الهيمنة والسيطرة؛ لهذا من العتب إقامة تاريخ للحقيقة دون الاهتمام بمفهوم "صراع القوى"²؛ فما يسمى، عادة، حقيقة ما هو إلا تجسيد لقوّة انتصرت على قوّة أخرى. وبالتالي فإن السلطة هي هيمنة وسيطرة قوة على أخرى، هذا ما يجعلها تأتي من كل مكان، وتنتج بمجرد ما يقع هناك التقاء لقوّة بأخرى.

فكلّ نقطة في الواقع قادرة على إنتاج السلطة، أي علاقات قوى. لهذا يتحدث فوكو، في سياق الفكر النيتشوي، عن إرادة للحقيقة همّها إقامة فصل بين ما يعتبر حقيقة، وبين ما يعتبر خطأ ووهماً وضلالاً.

1 Nietzsche :Généologie de la morale idéé/Gallimard. 1964. Trd. Henri Albert, p. 108

2 إن طرح وجهة نظر فوكو وعرضها ليس الهدف منه إظهار حتمية "الصراع" في المجتمع الإنساني، لأنني كإنسانة "كونية" لا أؤمن بحتمية أيّ صراع مؤلّد للعنف؛ بل إن الصراع هو نتاج "تجمعات تدّعي امتلاك الحقائق"، وهو خروج للإنسان عن روحه واخضاع عقله للمادة المنفعلة. لذلك فإن تمام الوعي الإنساني ورفّيه يعني كمال تحرر روحه من أسر الانفعالات الموجعة كما يقتضي النظر الى أن الحقائق متنوعة وذو أوجه متعددة وتنتمي لمستويات واقع لا متناهية.

ولا يُمكن فهم تاريخ الحقيقة، إذا نحن اكتفينا بالنظر إلى الحقيقة باعتبارها الصدق والحق الذي انتصر على الخطأ، لأن هناك ماهية تُميّز كل واحد في ذاته، وتَجعل كل طرف من أطراف "بنية" الحقيقة ينفصل عن الآخر بمجرد ما نُعرِّف أنَّ الحق حق، والخطأ خطأ. بيد أنَّ الفصل ليس فصلاً تاماً ونهائياً، فما يُعتبر حقيقة يُمكن أن ينقلب وينتقل إلى ما يُناقضه؛ وهذا ما يظهره تاريخ الحقيقة. حيث نلاحظ، أن حقيقة ما لا تبقى ثابتة ولا أزلية.

إنَّ الحقائق متعددة في التاريخ، تبعاً لتعدد القوى المشكّلة له من جهة، ولنمط العلاقات التي تقوم بين القوى من جهة أخرى. فعندما نتابع، في التاريخ، كيف انتصرت قوة على قوة أخرى، وكيف أنَّ استراتيجيات تحكّمت في صراع القوى، نفهم لماذا تمَّ الرفع من مكانة حقيقة ما، واعتبرت صدقاً على حساب ما تمَّ إقصاؤه على أنه خطأ.

في هذا المنحى، فإن إقامة تاريخ للحقيقة، انطلاقاً من صراع القوى، ما كان ليتمَّ لولا الربط "الحدث الأركيولوجي"¹؛ وبهذه المعاني المتقدّمة، ستتخذ إشكاليات السياسة والسلطة والحقيقة والمعرفة، معانٍ آخر فلن تعود المسألة تحديد مواقع

1 Michel Foucault :Les mots et les choses ,op.cit. p. 230

الحقيقة والسيادة الطبقية، بل إن مفهوم الحقيقة ذاته سيصبح عبارة عن مجموع الاستراتيجيات والعمليات التي يتم بفضلها إنتاج العبارات وتوزيعها وتداولها، فالأمر لا يتعلق بتحديد منهج الوصول الى الحقيقة، وإنما بتحديد الجهات التي تنتمي اليها هذه الحقيقة وتلك، فالأركولوجيا لا تعني الانتصار لقيمة على قيمة أخرى، وإنما البحث في قيمة القيم وتحديد نظام الخطاب وسياسة الحقيقة.

والسؤال الذي يُراود الأذهان هو: هل يمكن إيجاد واقع لا سُلطة فيه؟ وهل هناك كيفية يُمكن للفرد أن يعتمد عليها للالتفاف على السلطة التي تواجهه في كل مكان، والتي تقيم سيجاً من الضبط والمراقبة، يحيط بكل سلوكاته وتصرفاته؟ إن على الفرد عدم التوهم أن هناك واقعاً لا "سلطة" فيه. إن عملية التحرر الفعلي من السلطة لا تتم إلا عندما يخضع القوة، من أجل امتلاكها، لذاته؛ انطلاقاً من الذات نفسها، مما يعني أن على الفرد أن يجعل من قوته قوة تؤسس الحقيقة، عندما يطوي الخارج عنه لكي يصبح داخلاً فيه.

من هنا يُمكن القول أن التمييز بين مفهوم "السلطان" و"السلطة" من الأهمية بـمكان، فالسلطان يحترم خيارات الأفراد

وهو لاعنفي، فيما السلطة تحمل التسلط وبالتالي القهر ويصبح العنف ممارسة لا تنفصل عن السلطة، فيما السلطان ينبني على الخدمة بالدرجة الأولى وهو عبارة عن طاعة إختيارية لذوي العدالة والاستقامة ممن يتحلون بالخبرة والحكمة الخادمة للإنسانية، وهو لاعنفي بالدرجة الأولى ويقوم على احترام حرية من يقوم على خدمتهم.

ومفهوم الحقيقة عندها، يصبح هو "أحقية الضمير" ويكون الساعي إليها الأكثر تواضعاً كونها المحرر والعائق من أسر "أنوية السلطة" والعنف وشهوة التملك وانفعالات المادة، والحقيقة هي الكامنة في قلب كل كائن إنساني، وهي تلك التي لا تدفع بصاحبها الى إرغام الآخرين على تبني أي رؤية خاصة... فيكون التنوع في تلك الحالة، هو محرك التحول الذي تعرفه الحقيقة، والذي يجعل من الحقائق التي يتم الرفع من مكانتها كحقائق كونية هي حصيلة خبرة الحكمة الإنسانية، وحصيلة ثني واستيعاب قوة الروح والضمير لشهوات الغرسة والجاه والمادة والحق...

يقول غاندي: "خلال المسيرة نحو الحقيقة، يتنحى الغضب والأناية والحق... جانباً لأنه لولا هذا لكان من المستحيل الوصول إلى الحقيقة. إذ من الممكن أن تكون عند الإنسان، الذي تتحكم به العواطف، ما يكفي من النيات الطيبة، وأن يكون

صَادِقًا فِي كَلَامِهِ، وَرَغْمَ ذَلِكَ لَا يَجِدُ الْحَقِيقَةَ مُطْلَقًا. لِأَنَّ الْبَحْثَ النَّاجِحَ عَنِ الْحَقِيقَةِ يَعْنِي التَّحَرُّرَ الْكَامِلَ مِنْ رُكَامِ مِنَ رُكَامِ الثَّنَائِيَّاتِ كَالْحُبِّ وَالْكَرَاهِيَّةِ، وَالسَّعَادَةِ وَالْبُؤْسِ"¹

لذلك فإنَّ سِيرورة العمل اللاعنفي وفلسفته لا يمكن أن تكون ساعية للوصول للحكم أو الاستيلاء على السلطة، واستراتيجية العمل اللاعنفي لا تهدف إلى امتلاك السلطة مباشرة بل إلى استخدام وسائل اللاتعاون مع أنظمة العنف والمؤسسات والقوانين الجائرة التي تنال من حرية الإنسان عبر (العصيان المدني) بهدف إرغام نظام غير عادل وارغامه على التفاوض وردّ الحقوق إلى نصابها عبر مقاومة طغيان الجور بشكل سلمي.



1 المهاتما. ك. غاندي، سيرة ذاتية، قصة تجاربي مع الحقيقة، ص: 254 - 255، كتابات وأقوال غاندي، مرجع سابق، ص: 30.

بين "الحقيقة" و الحقيقة

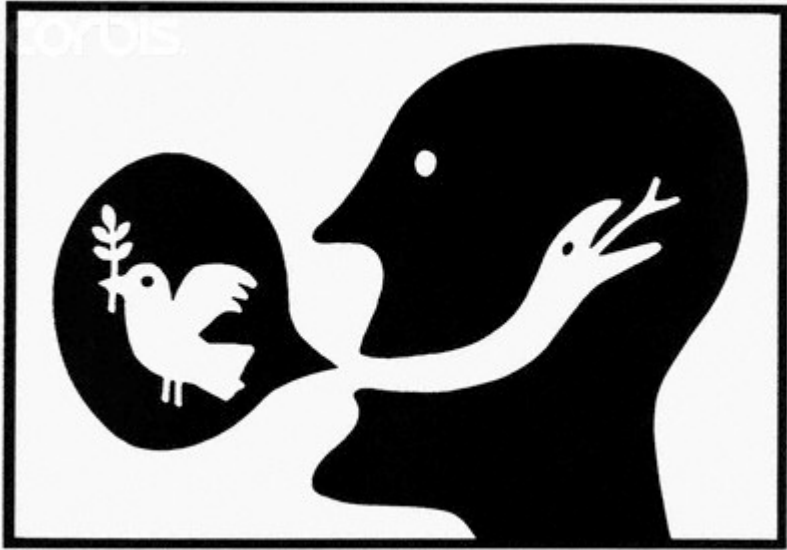
"الحقيقة" التي ندركها عبر العقل، وهي التي تخضع للتجربة، و بهذا التوصيف فهي نسبية، لأن العقل يصيب ويخطئ، وهي التي تتداخل بها العوامل الزمانية والمكانية والظروف، لذلك فهي ليست ثابتة ولا مطلقة، وهي مشروطة تخضع لاشتراطات الثنائية والتعددية ولتقنية العقل ولا نفعالات "الأنا"، وتمثل انفصال العقل عن الموضوع والمادة عن الروح، لذلك فإن ادعاء امتلاكها أمر خطر يؤدي الى حتمية الصراع والعنف.

الحقيقة الحقبة التي ندركها بالحكمة والروح والوعي الأسمى والحدس المباشر والتبصر وبهذا التوصيف فهي مطلقة، وهي لا تخضع لمعايير الزمان والمكان والظروف، لذلك فهي أحادية الاتجاه، تتجاوز التعددية المتمثلة في الطبيعة والمجتمع و الفلسفة نحو الوحدة الكونية الشاملة، و تُدرك بحدسٍ مباشر متصل مع الكون، لا تعتمد أداة ولا يدخل عمل "الأنا المنفعل بها، إنها نابعة من الرؤيا

الداخلية العميقة والتجربة الروحية عبر التأمل الذي يعاين مكنونات الوجود في جوهره وظاهره، ويرى توافق وتواصل الروح مع المادة وتناغم العقل مع الموضوع في صميم وحدة لا تنفصم، فتتجلى الحقيقة عندها بالمحبة المتصلة المنعكسة في الحياة.



إمبراطوريات العُنف



صِنَاعَةُ الْحُرُوبِ بِاسْمِ "السَّلَامِ"



العلاقات الدولية دبلوماسية رشد أم إستراتيجية خراب

"يُمكن خفض القوات (المسلحة) والتخلص منها فقط عندما يكفّ البشر عن تصديق الحكومات و يبدأون البحث بأنفسهم عن الخلاص من الولايات التي تُعذبهم، وأن يبحثوا عن هذا الخلاص ليس في تدابير الدبلوماسيين المُعقّدة والمُتأنّقة، وإنّما في تنفيذ القانون المُلزم لكل الناس والمكتوب.. في قلب كل إنسان والقائل: لا تفعل بالآخرين ما لا تريد أن يفعلوا بك وخاصة قتل قريبك"

ليف تولستوي¹

1 ليف تولستوي، مختارات من كتاباته الفكرية والفلسفية، في كلامه بمناسبة المؤتمر حول السلام في استوكهولم 1899، ترجمة هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق 2009، ص 99.

"إننا نرفض ان نعتبر دول العالم القوية الحرب أداةً مقبولة
للسياسة الخارجية، من جديد. إن هذا يخلق جوًّا عالمياً من
الخوف والتهديد وعدم الامان"¹

إن النموذج الحالي لبنية العلاقات الدولية القائمة يدفع
إلى العنف في شتى أنحاء كوكبنا الأرضي بل ويغذي وقوده بشكل
مستمر متذرّعاً بشعارات "فاضلة" مُمارساً أبشع الضغوط على
شعوب الأرض، كونه يركز على مفاهيم تختزل جميع الأبعاد
والعلاقات بالمصلحة المادية البحتة؛ وبعد ان مارس المجتمع
الدولي دوراً إنسانياً ايجابياً عقب الحرب العالمية الثانية ساهم في
رفع المعاناة عن كثير من الشعوب؛ فإن القيم الإنسانية لم تعد
طرفاً في اي معادلة دولية الآن إلا بالمقدار التي توظف فيه لصالح
الدول المتنفذة والتي لا همَّ لها سوى مزيد من السيطرة والربح.
وأتساءل دوماً عن جدوى انعقاد ما يُسمى "زوراً"
بمؤتمرات السلام، وهل يُعقل أن تقوم "الحكومات" بإحلال
السلام؟؟؟ وان ادعاءات ضبط السلاح المدمر وخفض أعداد
الجيش مرهون بها؟؟

1 البيان الصادر عن اجتماع رؤساء الكنائس المسيحية الاوروبية، في 5 شباط فبراير 2003،
الذي عقد في برلين بدعوة من مجلس الكنائس العالمي والمجلس الوطني لكنائس المسيح
في اميركا إبان الحرب على العراق.

فهل من المعقول أن ترعى "الدول" نزع سلاح تقوم هي بتصنيعه وبيعه؟؟ وهل يمكن لمن يرعى "الحروب" أن يُيجلّ مناهضة "التعسكر والتسلط بكل مستوياته بدءاً من السلاح العادي وصولاً الى السلاح النووي والبيولوجي مروراً بالاستنساخ وتسخير علم الوراثة في التدمير؟؟

فعن اي "نظام عالمي" يتكلمون؟؟

الاجابة ربما تكون كما قال جبران:
" طالما رأيتم ساجدين على ركبكم أمام أبواب المدينة وإلى جوانب المواقد تعبدون حريتم.
وأنتم بذلك أشبه بالعبيد الذين يتذللون أمام سيدهم العسوف الجبار، يمدحونه وينشدون له وهو يعمل السيف في رقابهم"¹

1 جبران خليل جبران، النبي، تقديم جميل جبر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، ط2004، بيروت، لبنان، ص 123



النظام العالمي الجديد بين إرادة الهيمنة وإدارة العنف

ان المحور المفصلي الذي اعتمده البعض لتأريخ مرحلة "ما بعد الحرب الباردة"، تجلّى بإعلان بوش الأب عن "تأسيس نظام عالمي جديد" تزامن مع تحالف موسّع مفوض من قبل الأمم المتحدة لتأديب العراق عقب غزوه للكويت حيث قال: "أن الامر ليس قاصراً على مجرد دولة صغيرة تعرضت للعدوان، وإنما هو أكبر من ذلك، أنّه نظام عالمي جديد تلتقي من خلاله مختلف دول العالم حول قضية مشتركة تتمثل في السعي الى تحقيق تطلعات البشرية الى السلام..."¹

1 L. freedman & E. Karsh ، The gulf Conflict 1990 – 1991 – London: Faber &Faber ، 1993 page 24

ثامر كامل محمد، الأخلاقيات السياسية للنظام العالمي الجديد ومعضلة النظام العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 2008

غير أن المناداة بضرورة "تأسيس نظام عالمي جديد" لم تنطلق في حقيقة الأمر مع إعلان بوش الأب، كما أنها ليست في أساسها مطلباً أميركياً وإن كانت الولايات المتحدة من جير المصطلح لنفسه، كما أنها ليست صناعة "صهيونية" للسيطرة، كما يحلو للبعض أن يصنفها؛ فهناك تقرير مميز و على قدر كبير من الأهمية لم يلتفت إليه أحد، ولم يلق أي عناية أو تسليطا للضوء عليه، وهو تقرير "تحدي نحو الجنوب"¹، الذي أعدته لجنة غير حكومية، عرفت باسم "لجنة الجنوب"، وتضم شخصيات بارزة علمية وأكاديمية وسياسية وثقافية من أبناء "دول العالم الثالث".

وقد تضمن التقرير دعوة الى ضرورة تأسيس وإقامة "نظام عالمي جديد"، يستجيب لتطلعات دول الجنوب نحو تحقيق "العدل" على مستوى المجتمع الدولي، وكانت اللجنة قد أعربت عن قلقها البالغ إزاء سياسات الدول "المتقدمة" المستأثرة بالقرارات الدولية المهيمنة على الاقتصاد في الدول النامية.

اذن عملية المطالبة "بنظام عالمي جديد" ولدت من قلب معاناة الدول الفقيرة التي شئت أن تحقق لنفسها فرصة داخل

1 Challenge to the South - Report of the South Commission , Oxford 1990

السياسية الدولية، غير أن ذلك لم يلق أذنا صاغية و لم يُسلط الضوء عليه، إلا على يد الولايات المتحدة الاميركية من خلال اعلان بوش الذي استخدمه كمستند "أخلاقي" أساسي، وجواز مرور للتدخل الغير المشروط في دول الخليج.

وبعد أن كان تأسيس "نظام عالمي جديد" مطلباً أساسياً لتطلعات دول الجنوب من أجل تحقيق مزيد من العدالة، وقدر اكبر من المساواة، وتوفير اجواء اكبر من الديمقراطية، بهدف تحقيق نسبة أعلى من الشراكة، أصبح شعاراً ومظلة دولية للتحرك من جانب واحد.

لست هنا بصدد تحليل أنماط السلوك الاميركي ودوره في إرساء قواعد نظام دولي حقيقي له مشروعية دولية، فالدول تتحرك وفق مصالحها وليست الولايات المتحدة الاميركية ولا غيرها من الدول، مركزا للدفاع عن حقوق الإنسان والسلام او جمعية خيرية مهمتها "الدفاع عن القضايا العادلة" في العالم، وليست جهة كهنوتية "تمنح الغفران" أو تدافع عن لاهوت الشعوب وعقائدهم.

ويغض النظر عن عدالة أصل طرح مفهوم "النظام العالمي الجديد" أو عدمه فإن الممارسات الواضحة وسلوك

الحكومات أجمعين يوحى بقدر لا يرقى للشك، بأن إدارة الهيمنة وتوزيع أدوار "العنف" فيما بين الحكومات هو المسيطر على الدبلوماسية بين الدول وبالتالي فإن دعوات "السلام" المزعومة لا تعدو عن فصل في مسرحية توزيع "السيطرة" وإعادة اقتسام الكعكة من جديد!

إننا كبشر يجب علينا عدم التوهم بأن "الدول" بينيتها الحالية صانعة سلام! وربما السلام يكون عندما يقر الإنسان بشيء واحد فقط بوضوح وببساطة: أن الإنسان لا يجوز له قتل الإنسان!

وفي هذا السياق يقول هرتسن: "لو اكتفى الإنسان بإنقاذ نفسه بدلا من إنقاذ العالم، وتحرير نفسه بدلا من تحرير البشرية، فكم سيكون هائلا ما سيفعله من أجل إنقاذ العالم وتحرير البشرية!"



عودة الأمبراطوريات قطبية السياسة الدولية وصناعة الحروب

إن المراقب المتتبع لمقالات المحللين والسياسيين ودراساتهم، يجد أن الكثيرين منهم، يؤرخون مرحلة مابعد "الحرب الباردة" بولادة "النظام العالمي الجديد"، رابطين بإحكام مبرم بين المنهج الأمريكي الأحادي الجانب وعملية بروز الأحادية القطبية في السياسة الدولية.

هذا الربط يُشكّل في حقيقته تحريفًا للسجل الفعلي للعلاقات الدولية خصوصًا في مرحلة بداية التسعينيات، إذ إن القطبية كمفهوم خاص يتعلّق بمستوى النظام يرتبط بتوزيع مراكز القوى من جهة والقوة من جهة أخرى، أما المنهج الأحادي

الجانب فهو متعلق بالسياسات التي تتبناها الدول ضمن نظام دولي أعد سلفاً.

وفي مقالة كتبها جون فان أودينارين نشرت في مجلة "بوليسي ريفيو"¹ أشار الى الجدل الحاصل بين صنّاع القرار والأكاديميين على جانب الاطلنطي حول ما إذا كان وجود عالم أكثر تعددية قطبية مفيداً أو مرغوباً فيه، استنتج أن هذا الجدل لم يحقق سوى القليل في سبيل تأسيس توافق حول ما أخذ كلا الجانبين في تسميته "منهج فعال متعدد الاطراف".

إن الراصد لخطابات الساسة الاوروبيين يجد أنهم تحدثوا بشكل لا يخلو من التشويش حول الحاجة الى بناء نظام متعدد "الأطراف" او "الاقطاب" مستخدمين المصطلحين بشكل مترادف، علما ان "الطرف" كمدلول مغاير عن "القطبية".

إن الاشكالية إذن، تتمحور حول محاور عدة:

- محور مفاهيمي ومصطلحي حيث ان منطوق المبنى مغاير لمضمون المعنى.
- محور السياسات الخارجية ومسار ديبلوماسيتها ما بعد الحرب الباردة.

1 John Van Ordeñaren, Unipolar Versus Unilateral, Policy Review, No. 124, April 2004

- ومحور غياب الرؤية الإنسانية في العلاقات الدولية.
 - محور فرط الاحساس بالجبروت المادي.
- وبناء عليه نجد أنّ الدول برغم من ادّعائها بأنّها تعمل في حقل السلام فإن جيوشها منتشرة تمارس العنف وهي مسلحة بأفتك الأسلحة، فيما تعتمد إدارات الدول إلى التخندق في اتحادات إقليمية منفعية مصلحة، متخذة بذلك مظاهر عدة عقائدية أو سياسية أو اقتصادية، مما ينذر بعودة "الامبراطوريات" مرة جديدة.

وعليه فإن تصنيف الروابط بين "مفهوم القطبية وعلاقتها بالسياسات الخارجية" تكون على الشكل التالي:

- منهج أحادي الجانب في نسق¹ دولي أحادي القطب.
- منهج متعدد الاطراف في نسق دولي أحادي القطب.
- منهج أحادي الجانب في نسق دولي متعدد الأقطاب.
- منهج متعدد الأطراف في نسق دولي متعدد الأقطاب.
- منهج منفتح على جميع الاطراف في نظام دولي خالي من الاقطاب، وهو ما نحلم به.

1 أفضّل استخدام مصطلح نسق وليس نظام، والسبب ان ما نشاهده هو ادارة صراع قوى في منظومة لا مكان للقيم فيها، وليس نظاما لان النظام يتضمن بالضرورة بعدا إنسانيا.

وان كان مفهوم "الاتحاد" إيجابى وجيد فى حقل الإنسانية لأنه تجسيد لروح التسامح الإنسانى، فإن "الاتحادات" الإقليمية التى نراها اليوم تعمل بالدرجة الأولى على تجمعات عسكرية وتحالفات هدفها الأول امتلاك وسائل احتكارية بحيث تصبح كل دولة من الدول الكبرى عبارة عن زعيمة لمجموعة دول صغيرة أخرى تابعة لها بل و"مُستعبدة"، مما يرمى العالم فى دائرة العنف كون هذه الامبراطوريات "المولدة" تنظر بجدر تجاه بعضها البعض بل وتسعى لتدمير بعضها بشكل أو بآخر.

يقول تيك نات هانه¹:

" نَظُنُّ أَننا بِحاجةٍ إلى عدوّ. والحكومات تعمل جاهدة كي تجعلنا خائفين ومُبغضين، لكي نحتشد خلفها. فإن لم يكن لديك عدو حقيقي فستخترع الحكومات لنا عدوا لكي تعبثنا. لقد ذهبت مؤخرا إلى روسيا مع بعض الأصدقاء الأمريكيين والأوروبيين، فوجدنا أن الشعب الروسى شعب رائع. ولسنوات كثيرة، كانت الحكومة الأمريكية تُخبر شعبها أن روسيا هي أمبرطورية الشر"²

1 تيك (بالبودية): هي ترجمة لكلمة شاكيا، اسم عائلة البوذا، نات هته: هو راهب بوذي فيتنامي ولد 1926 واختار اللاعنّف سبيلا في مقاومة الاحتلال الاميريكي لفيتنام واسس "الحركة الدولية للمصالحة" أمضى جل وقته داعيا الى وقف الحرب والعنف ومساعدة اللاجئين الفيتنام.

2 تيك نات هانه، المحبة في العمل، كتابات حول التغيير الاجتماعي اللاعنفي، ترجمة غياث جازي، تدقيق أكرم أنطاكي، معابر للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط 2008، ص 146.



أسلحة الدمار وخرافة الأمن

"لقد جعل من أسلحته آلهته..."

طاغور

فكان في انتصارها اندحاره"¹

"لقد زرع إنسان الألفية الثالثة الهول والمآسي في قلب
كوكبنا الأرضي الوادع حتى أدماه... متذرعا باسم المعرفة او العلم
أو المادة.. حتى غدت الأرض... عبارة عن تجمعات أمنية لوحوش
بشرية يريد كل منها تحقيق أمنه الذاتي من خلال نزع الأمن
عن بقية البشر....ومن خلال السيطرة والامتلاك...مدخلا
الشعوب في خرم سلطته العمياء"

أدونيس

1 رابندراناث طاغور، طيور شاردة، ترجمة وتقديم: ديميتري أفيرينوس، سلسلة الحكمة 1،
دار إيزيس، دمشق سوريا، ط 1998 ص 21.

اسطورة الأمن القومي¹

إن أخشى ما يمكن أن نخشاه في عصرنا هذا هو اندلاع حرب نووية، وهي من أشد الأمور مأساوية لأنها تنذر بكارثة إنسانية حقيقية، وأزمة كوكبية شاملة، تطل كافة وجوه معاش الكائنات، وآثارها المدمرة تتجاوز كل ما يمكن أن يتوقعه الباحثون، سواء على الجانب الصحي أم البيئي أم الاجتماعي أم الاقتصادي ناهيك عن الآثار التي تصنف بأنها غير مادية غير أنها لا تقل خطورة عن سابقتها وهي الآثار النفسية والروحية التي من شأنها أن تكون "نميسياً"² يولد البلايا وبئس عقبى الدار.

ولعل اجتماعات ما يعرف بمجلس الأمن³ عجزت عن ضبط الأمور النووية، وهو بالمناسبة عجز حتمي كون الأعضاء

1 أنظر: ندره البازجي، العنف واللاعنف في الطبيعة والإنسان، دمشق 2008، ص55. وأيضا فريتجوف كوبرا في مقالته حول "الأمن القومي" والتي أقتبس جزءا منها للدلالة على خرافة ما يعرف بهذا الامن للدول أنظر:

Fritjof Capra, National Insecurity, New Age Journal, March/April, 1988

جان- ماري مولر: قاموس اللاعنف - مرجع سابق - راجع العناوين: الأمن المشترك ص54 - الأسلحة النووية ص31 - العبر تسليح ص178

2 نميسس- Nemesis: في الميتولوجية اليونانية آلهة الشر، كناية عن عواقب الفعل الشائن وان الإنسان يحصد ما إياه يزرع.

3 مجلس الأمن: أحد أجهزة الأمم المتحدة ويعتبر المسؤول عن حفظ السلام والأمن الدوليين طبقا للفصل السابع من ميثاق الأمم المتحدة. ومجلس الأمن سلطة قانونية على حكومات الدول الأعضاء لذلك تعتبر قراراته ملزمة للدول الأعضاء المادّة الرابعة من الميثاق، ويتكون المجلس من 15 عضواً؛ منهم 5 أعضاء دائمين لهم "حق النقض" الفيتو... والذي سأتناوله في عنوان لاحق.

الخمسة للدول الكبرى هم مُلاك الأسلحة، وهي اجتماعات فولكلورية جوفاء أعجز من ان تسمح بالتوصل إلى مرحلة يصبح فيها كوكب الأرض بكامله منزوع من السلاح النووي، و لم يعد بإمكان الساسة التقليديين منهم التوصل الى صيغة تحد من الأضرار الكامنة والمتوقعة من جراء حيازة هذه الأسلحة الفتّانة هنا وهناك، بذريعة ما يعرف بالأمن القومي.

فالدول العظمى منحت نفسها حق اقتناء السلاح النووي، وحرمته على غيرها، ليس من أجل الحدّ من الحروب بل لابقاء الدول الأخرى تحت عصا قنابلها وسلطتها، فيما تسعى الدول "الإقليمية" عن طريق المراوغة والعمل سرّاً وعلانية الى امتلاك هذا السلاح بذريعة حماية "أمنها القومي".

ونجد ان معظم السجلات تنصب حول المزايا والأولويات لـ"الثواب الاقتصادية والتكنولوجية" المتحققة من المفاعلات النووية، وهي أمور في معظمها تحقق إيجابيات قصيرة المدى، غير أن العضلات الحقيقية الكبرى تكمن في: ماذا سيحصل على المدى البعيد فيما لو تحكم غير العقلاء في سلاح كهذا؟؟؟

إن حقيقة المشكل يكمن في بنية العلاقات المعقدة للشعوب نفسها والأجدي بنا أن نسأل أنفسنا: ما هي جدوى المفاعلات النووية وعملها؟ وما هي الآثار البعيدة المدى

المتحققة؟ وكيف يمكن لكوكب الأرض أن يعيش بسلام في ظل أعمال تضرر بالبيئة والبشر؟؟؟ وذلك بدلا من ان نسأل أنفسنا: من يحق له اقتناء الأسلحة النووية ومن لا يحق له؟؟؟

حول تلك الاشكالية يشير جان ماري مولر¹ إلى انه: "طوال فترة الحرب الباردة كلها، أكد ايديولوجيو الردع النووي أن "توازن الرعب" هو أفضل ضمان لأمن الشعوب وللسلام العالمي. وحين كان يشكك في منطق سباق التسلح النووي، بتبيان أنه من غير المنطقي المجازفة بتدمير النفس في سبيل الدفاع عنها، سرعان ما كان يكال الاتهام بالـ "مسألة"، أي بالانهزامية والخيانة. وحين كان يؤكد أن العمل اللاعنفي هو الطريقة المثلى التي تتيح لمواطني البلدان الشرقية مقاومة الاستبداد التوتاليتاري، كان لا بدَّ من مجابهة التشكيك الساحر للـ "واقعيين".

إن سقوط جدار برلين قد حرض تغييرا جذريا في المشهد الإستراتيجي الدولي. وهذا ما يجبر الحكومات على إعادة تعريف الرهانات السياسية والدبلوماسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية لخياراتها المتخذة في مجال الدفاع.

1 جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، مرجع سابق، الأسلحة النووية، ص 31.

غير أن المصادرة التي تقوم عليها العقائد الدفاعية التي تجهر بها الدول المالكة للسلاح النووي ما تزال هي هي: مازال الردع النووي الضمان الأخير ضد تهديد المصالح الحيوية لكل من هذه الدول، وما انفك عاملاً حاسماً في الحفاظ على السلام في العالم. منذ ذلك، يؤكد المسؤولون العسكريون والسياسيون أن الردع النووي يحتفظ بضرورته الملحة. ولهذا فهم لا يقولون ما هي السيناريوهات الإستراتيجية التي يمكن لهم ضمنها النظر في استخدام السلاح النووي لأن التهديد الفعلي هو بالضرورة خطر هذا الاستخدام. مع ذلك، فالصمت عن هذه السيناريوهات يعني الانحباس في بلاغة مجردة، تقوم أساساً على فكرة بالية عن العظمة القومية"

إذن إن الأمر يحتاج بالدرجة الأولى وقبل كل شيء إلى انقلاب عميق في القيم والأفكار والعمل السياسي والمؤسسات على مستوى دول العالم كافة، إن علماء الاستراتيجية يعتبرون ان معيار تحقق السلام هو في غياب الحروب، وهذا مدلولاً ليس دقيقاً لأن هناك صراعات كامنة دائمة وهي كالنار تحت الرماد، فالأسباب والأدوات المؤدية الى حروب طاحنة متوافرة في ظل غياب دائم للعدالة الدولية وفي ظل انتشار الأسلحة المادية، وفي ظل تكريس حاد للاختلافات والنزاعات الثقافية والفكرية.

وغالبا ما ينزع الساسيين والعسكريين على حد سواء، إلى إدراك كل قضايا الدفاع كقضايا تكنولوجية بحثة متغاضين عن كل الاعتبارات العقلية والروحية والنفسية والاعتبارات الأخرى المكونة للكائن الإنساني، أضف الى ذلك فإن شؤون الأمن والدفاع تدرس من خلال، "كتل النفوذ"¹ Power Blocks، ومن خلال "الأفعال وردودها"، ومن خلال مبدأ "الخلاء السياسي" Political Vacuum وهي كلها تضع الإنسان في محور الآلة ودائرتها.

كما أن الصورة الجديدة عقب سقوط جدار برلين نزع "الحجة" التي كانت تتذرع بها الدول لحماية أمنها؛ ومن هنا نجد أن الفكر الإستراتيجي في مآزق مفاهيمي حرج، وهو أمر كاف لنزع أية شرعية عن اي سلاح مدمر.

آن الأوان لأن نسعى لأن نتحول بتفكيرنا جذريا لرفع الشقاء عن انفسنا كبشر وتغيير نظرتنا الى العالم، فننتقل من محور الآلة المختزل الى المحور الكوني المتكامل، وهي نقلة من رؤية آلتية Mechanistic مجتزأة تتختزل الكائن الإنساني بالبعد المادي الإستهلاكي إلى رؤية كلانية Holistic متكاملة وإيكولوجية (بيئية) تتعاطى مع الإنسان بأبعاده كافة بما فيها الروحية.

1 لقد تناول Fritjof Capra الموضوع بالتفصيل، المرجع السابق نفسه.

إن الرؤية الحالية التي يعمل ساسة العصر الحالي في دائرتها تعاني الكثير الاختزال وذلك عندما يواصل الساسة والعسكريون التحدث عن الأمن القومي!!! فعن أي أمن يتكلمون في ظل وجود أسلحة نووية تهدد كوكب الأرض بأسره؟؟؟

إن مفهوم الأمن القومي أضحى أكذوبة كبرى تقدم للشعوب للتضليل ليس إلا، من خلال الإيحاء للشعوب بأن أمن شعب ما لا يتحقق إلا إذا انتزع الأمن من بقية الشعوب، والساسة يتصرفون على أساس أن ما يعرف بالأمن قومي لا يتحقق الا اذا جعلنا الأقوام الأخرى المحيطة تشعر بالخوف.

وتتألف هذه النظرة الآلتية المختزلة إلى العالم من عدد من الأفكار و"القيم" من بينها الاعتقاد بأن الكون منظومة آلية مكوّنة من لبنات بناء أولية، والنظرة إلى الجسم البشري كآلة، والنظرة إلى الحياة في المجتمع كصراع تنافسي من أجل الوجود، والاعتقاد بالتقدم المادي غير المحدود الواجب إحرازه عبر النمو الاقتصادي والتكنولوجي، والاعتقاد بأن مجتمعاً تكون فيه الأنثى خاضعة في كل مكان للذكر مجتمع يمثل لقانون أساسي في الطبيعة.¹

1 Fritjof Capra – Ibid المرجع السابق.

إن التفكير العسكري التقليدي يعتبر أن خير حل للنزاعات يتمثل في التدخل التكنولوجي ولا يأخذ بالحسبان الكمون الذاتي التنظيم للناس والأمم.

أما السياسيين فإنه يتغاضون عن علل النزاع وأسبابه الحقيقية مركزين بدلاً من ذلك على السيئوروات الخارجية؛ على الأفعال المرئية للعنف الفردي، بدلاً من العنف المؤسسي *institutional* المنظم الخفي بما فيه عنف الدولة.



الأمن المشترك والأمن العالمي

يطرح مولر فكرة بديلة عن الأمن القومي وهي "الأمن المشترك"¹: وهذا الأمن لا يقوم على اعتبار الخصم صديقا ولا يتأسس على ثقة متبادلة، بل يتكئ على واقع أن خصمنا يحتاج لأن يكون في أمان بقدر ما نحتاج لذلك نحن وأن لنا جميعاً، فيما يتعدى ارتياباتنا المتبادلة، المصلحة الحيوية نفسها في تأمين دفاعنا بوسائل لا تنطوي على خطر تدمير أنفسنا معا.

1 جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، الأمن المشترك، ص 54.

ضمن هذا المنظور، لا يعود الأمن المشترك يقودنا إلى إقامة دفاعنا على أعمال ردع "عدوانية"، بل "دفاعية". لم تعد المسألة هي الردع بتهديد الخصم بأعمال تدمير غير مقبولة، بل بإقناعه بأن وسائل دفاعنا ستحبط كل محاولة عدوان من جانبه وبأن مشروعه سيكتب له كل نصيب بأن يبوء بالفشل. لذا فإن ردعا كهذا يتيح لصناع القرار السياسيين التمسك بـ "وضعية دفاعية" لا يمكن لها أن تثير أي خوف لدى الخصم مادام لا يتجاوز حدوده. مذ ذاك، إذا اتفق لأزمة سياسية أن تطرأ، فإن الدولتين المتنافستين ستجدان نفسيهما في وضع إستراتيجي يسهل كثيرا إبقاء النزاع في الميدان الدبلوماسي حيث ينبغي إيجاد حل له. يمكن تصور أشكال بعينها من الدفاع المسلح من شأنها أن تتيح تنظيم قوة ردع دفاعية؛ لكن الدفاع المدني اللاعنفي هو الأنسب قطعاً لبلوغ هدف الأمن المشترك.

إن غالبية السياسيين الساحقة تتعامل من هذا المنطلق أنه بوسعنا أن نزيد من أمننا بأن نجعل الآخرين يحسون بعدم الأمن. ولما كانت التهديدات التي تقوم بها أسلحة اليوم النووية تنذر بإبادة الحياة على الكوكب، فإن التفكير الجديد حول السلام يجب أن يكون بالضرورة تفكيراً شاملاً. لقد ولّى زمان

مفهوم الأمن القومي برمته في العصر النووي، ولم يعد في الوسع الآن القبول بأقل من الأمن العالمي.

إن فقدان التوازن الذي نعانيه خطير. وإن من أقسى عواقب هذا الخلل في التوازن خطر الحرب النووية المتصاعد، الناجم عن إفراط في التشديد على تأكيد الذات والسيطرة والنفوذ، والتنافس المفرط، والهوس المرضي بـ "الانتصار" في وضع فقد فيه مفهوم الانتصار برمته معناه، لأن الحرب النووية لا منتصر فيها.

إن المقاربة الكلائية إلى السلام تقوم إلى حد كبير على إيجاد طرق صحيّة، غير عنفيّة، لحل النزاعات؛ نظرة نابعة من أن الإنسان جزء من الكون ومن البيئة الطبيعية، وينبغي عليه أن ينسجم معها، ويحقق من خلالها التوازن البيئي والصحي، وهذا يعني، تنمية نظرة شاملة إلى شبكة النماذج الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تنشأ عنها النزاعات والصراعات المؤدية للحروب.

إننا نحتاج إلى قراءة كوكبنا الأرضي وتفاعلنا معه بشكل يتجاوز كلّ القراءات السابقة، تكون قراءة متكاملة قائمة على المعرفة العلمية من جهة، وعلى الواقع من جهة وعلى الحدس والروح من جهة أخرى، إنه العلم الذي لا ينفصل عن الشّعور والبحث الذي لا ينفصل عن الحب، وهذه الرؤية قادرة على اختراق

كافة أنواع حدود الثقافات والقوميات والتواريخ والسياسات والديانات.... إنها نظرة تحرر الإنسان من كل ما يقيد وتتيح له الاندماج مع الكون في انفتاح كلي للذات الإنسانية التي لا تكتمل الا بالآخر من خلال مجتمع إنساني واحد متعدد الثقافات في آن منسجم مع المحيط الأوسع وهو الكون.

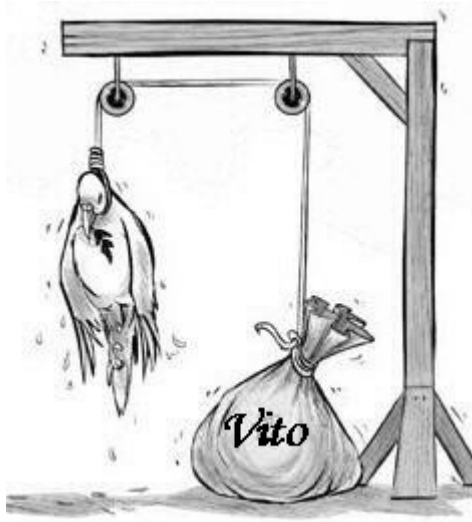
وحالما يتم فهم هذا النموذج، يصبح بالوسع استعمال مدى واسع من المناهج لحل ما يعرف بالنزعات، لأن الكثير من مكونات الأزمات تحل تلقائيا من خلال تلك الرؤية. لقد أمضى علماء النفس والاجتماع سنوات في دراسة العلائق في المجتمعات والعوامل المسببة للعنف بين الافراد، بيد أنهم أخفقوا في دراسات تحد من العنف "التجمعي"، لأنهم تعاطوا مع الكائن الإنساني ببعده الجسدي المادي والأنا النفساني مستغفلين الجوانب الأخرى التي يتفاعل معها الإنسان لاسيما تلك المتعلقة بعمل الروح و الفطرة.

يقول تندنز كياتسو (دالاي لاما)¹

"إذا لم نقم السلام في دخيلة نفسنا

فلن يكون هناك سلام في العالم"

1 تندنز كياتسو: هو الدالاي لاما الحالي، ترتيبه الرابع عشر، ولد سنة 1935، والدالاي لاما تعني بحر الحكمة وهو لقب منغولي، والدالاي لاماوات هم الزعماء الروحيون والزمنيون للتيبت التي تدين بالديانة البوذية منذ القرن الخامس.



حق النقض "الفيتو" و إجهاض السلام

"العالم الآن من أصغر ديكتاتور إلى الخمسة الكبار الذين لهم حق الفيتو، لا يؤمنون بالإقناع. لهذا أمريكا هي التي لها حق الفيتو في خرق ما يجمع عليه 96% من العالم. والعجيب أن الناس لا ينكرون حق الفيتو وأنه ضد حقوق الإنسان وضد المساواة والديمقراطية وأنه عنصري ومعيق لنمو العالم وقدوة لكل الدكتاتوريين الصغار في العالم. وأنا أعتقد لما يقتنع الناس بالديمقراطية وتصير الأمم المتحدة ديمقراطية سيحل السلام بالعالم لأن المستكبرين في الأرض الذين يتمتعون بأكثر من 80% من إنتاج العالم وهم لا يمثلون إلا أقل من 20% من العالم"

جودت سعيد

لم ترد لفظة "النقض أو الفيتو"¹ في قانون الأمم المتحدة، بل ورد لفظ "حق الاعتراض". وان كان حق الاعتراض مؤشراً إيجابياً فإن حق "النقض" الممارس هو في واقع الأمر عنف صريح وإجهاض فعلي للقرارات الدولية وليس مجرد اعتراض. إذ يكفي اعتراض أي من الدول الخمس الدائمة العضوية فيما يعرف بـ "مجلس الأمن" ولو بدون إبداء الأسباب ليتم رفض القرار وعدم تمريره نهائياً. حتى وإن كان مقبولاً للدول الأربعة عشر الأخرى.

وفيما يتناقض هذا النظام مع أبسط القواعد الأساسية للديمقراطية، فإن الدول الخمس هذه لم تُنتخب لعضوية هذا المجلس بصورة ديمقراطية، ناهيك أيضاً أنها لا تصوت على القرارات بنظام الأغلبية المعروف.

كما أن "حق النقض" المزعوم يتنافى مع أبسط الحقوق الإنسانية الطبيعية لذلك فمن الخطأ تسميته بـ "الحق" إنه استراتيجية مخادعة لدوام الظلم وتكريس الحروب، حيث أن الاستراتيجيات المعممة في الانظمة الدولية والتي تخضع لها

1 حق الفيتو: هو حق نقض أي قرار يُقدّم لمجلس الأمن دون إبداء أسباب، ويمنح للأعضاء الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن، وهم: روسيا، الصين، المملكة المتحدة، فرنسا، الولايات المتحدة وقد اعتمد عقب الحرب العالمية الثانية.

السياسات الخارجية تؤدي إلى حتمية عسكرة الدول، وتدفع لمزيد من السباق المحموم للتسلح التي تكتب كل يوم مزيدا من الازدلال للإنسانية والدمار للبشرية في تاريخ الأرض، بل وأبعد من ذلك حيث نشهد "تشريعات وقحة" لجعله مباركا تحت مسمى "حق صناعة الحروب"!!

أليس عارا على مدعيي العدالة أن ينشئوا للعنف أنظمة "قضائية" تلفها مؤسسات "أمن" وتحميها جيوش عسكرية جراءة وتسوق لها وسائل الإعلام الدّعائي؟؟؟

إنه تواطؤ غير مسبوق لأجهزة تسلط أقل ما يقال فيها أنها تفرخ العنف باستمرار وتحصر الفكر البشري في حتمية الصراع مما يجعل احتمالات "المقاومة" محصورة بـ "العنف المسلح" المضادا! وإننا كبناؤو حياة نربأ بأنفسنا عن كل عنف وندين كل سلاح ونرفض كل حرب!

إن حقيقة الوضع الراهن لآلية عمل مؤسسات المجتمع الدولي لم تعد تصلح للتعامل في عالم شديد الاكتظاظ ومتشابك بطريقة بالغة التعقيد في ظل تداخل ثقافي وعولمة اقتصادية شبه كلية؛ وبعد أن أصبح اتخاذ أي قرار دولي عملية "نفعية" خاضعة وبشكل دائم "للمصلحة الآنية"، التي تصب في نهاية

المطاف في جيوب "حيتان رؤوس الأموال" والشركات العملاقة في العالم، الأمر الذي جلب قدرا كبيرا من اللامساواة، واستشراء صارخ للنزاعات السياسية والعسكرية التي لا تتوانى عن استخدام العنف المباشر أو المقنَّع للوصول إلى مصادر الثروة وتحقيق المصلحة الاقتصادية.

فالواقع الدولي الحالي هو في حقيقته "إدارة علاقات صراع" لا يرقى لأن يكون نظاما لأن لفظة "نظام" كمفهوم حسب بيار بورديو تشير إلى "مركب يقوم على تضافر علة مقومات هي: وسط اجتماعي، ومجموعة من القيم والآليات القانونية. ويتمثل دور هذه الآليات القانونية في كفالة وضع القواعد القانونية المنظمة للواقع موضع التنفيذ"¹

وفي هذا السياق يصر سعيد² على عظيم الاجحاف الذي ترتكبه منظمة عالمية كالأمم المتحدة عبر "الفتو" الذي يعتبره (الميراث الروماني الذي لا صلة له بالحدث)، والذي يشكل

1 Pierre Bourdieu: Langage et pouvoir symbolique: Coll. Points. éd. Le Seuil 1982

بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعيد العالي، دار توبقال، البيضاء ط2، 1990

2 جودت سعيد، دور الفاعلين الدينيين في بناء السلم والديمقراطية، في محاضرة ألقاها في بلجيكا 2 ديسمبر 2009 خلال المؤتمر الثاني المنعقد تحت عنوان: الاسلام، المسيحية و أوروبا.

Jawdat Said Mohamed. The role of religious actors in peace-building;

Islam- Christianity & Europe - 2nd series of seminars - 2009-2010

انتهاكا مستمرا فاقعا لمبادئ حقوق الإنسان، ورصيда لكل الطواغيت الصغار في العالم الثالث.

ويتساءل أن: (هل كان بإمكان النازية والفاشية لو انتصرتا في الحرب صنع مؤسسة أسوأ من الأمم المتحدة؟ ماذا كان سيفعل هتلر وموسوليني إلا أن يعطيا لنفسيهما مع اليابان حق النقض؟؟
إن نظام العالم الذي نعيش فيه اليوم يكرس شريعة الغاب، فهو مفروض بقوة المنتصرين في الحرب العالمية الثانية، ومنظمة الأمم المتحدة معبد تعبد فيه أصنام القوة، وورقة لا تستر عورة الإنسانية بل تفضحها.

كيف يمكن أن ندعو إلى حقوق الإنسان والديمقراطية، ونقر في الوقت ذاته بمبدأ هو ضد الديمقراطية وضد حقوق الإنسان وضد الإنسانية. إن السكوت على الظلم والفساد نفاق سياسي وديني وثقافي، لكن التاريخ يخبرنا بأن أصحاب الامتيازات لا يتخلون عن امتيازاتهم طواعية).

ومن هنا فالدور ملقى على "وعي الشعوب" وقدرتها على "الممانعة" من الانخراط في عنف المادة والآلة والسلطة؛ كما أن الوعي ومكافحة شتى أنواع الظلم بالطرق السلمية يمثل ورقة ضغط حقيقية على الحكومات لتبني سياسات خارجية

أكثر "إنسانية"، وأكثر أماناً "للبيئة"؛ فالحروب لم تجلب للعالم إلا الدمار وسباقات التسلح لم تنتج لنا إلا "القنابل الذرية"، والشركات العملاقة لم تولّد لنا إلا مصانع مدمرة للبيئة حارقة كوكبنا بغازات سامة؛ ويُشكّل "العصيان المدني اللاعنفي" إحدى أبرز الأدوات الواعية للتعبير.

أمل و حلم!

نعم، ربما نحلم بنظام عالمي إنساني يستوعب كافة شعوب الارض، يعتمد منهجا منفتحا على جميع الأطراف، خال من الاقطاب يستمد عناصره من القيم الإنسانية المشتركة للحضارة البشرية، ويتمثل دور الآليات القانونية فيه بكفالة وضع القواعد العادلة المنظمة للواقع الإنساني موضع التنفيذ.

نعم، نحلم ان تتحول الأمم المتحدة نحو الديمقراطية بحيث يكون لها سلطات ثلاث: تشريعية وتنفيذية وقضائية، مما يرسّخ مفهوم الشرعية الدولية ويجعلها أكثر عدلا وعندها سيعم السلام العالم...

نعم، نحلم بعالم يسوده الأمان... عالم منزوع من الأسلحة الفتاكة المدمرة، عالم لا تتحكم به حفنة من الشركات... عالم يحترم الإنسان ويقدر حرية روحه... عالم يحافظ على البيئة الطبيعية... عالم لا يعرف إلا السلام...

نعم، نحلم بكوكب وادع جميل يتنفس على إيقاع منظومته الكونية، فما البشر كلهم إلا جزيئي صغير في عوالم أخرى لا متناهية.

نعم نحلم، بعودة الإنسان إلى صبغته الإلهية الكامنة فيه!
يقول رابندرانات طاغور¹:

"إن مجتمعنا موجود لندكرنا من خلال أصواته المختلفة،
أن حقيقة الإنسان السامية ليست ملكاته العقلية أو موارده
المادية، إنما في إشراق روحه، وفي امتداد مشاركته الوجدانية إلى
أبعد من حواجز الطائفة واللون؛ وفي معرفته للعالم، ليس فقط
كمخزن للقدرة، بل وكمعبد للروح الإنسانية أيضاً، مع موسيقى
جماله الأبدية ومع نوره الداخلي، انعكاس الحضور الإلهي"²
وأن "القدرة التي تحقق معجزة الإبداع بتوحيد القوى
المتعارضة في تناغم الوحدة، ليس قدرة الهوى بل المحبة التي تقبل
بفرح رحابتها قواعد تهذيب الذات، المحبة التي يتجلى عنها
اللانهاية دوماً أبداً بالتضحية"³



1 رابندرانات طاغور (1861 – 1941) شاعر وفيلسوف هندي ولد في كالكوتا وكتب
أدبه باللغة البنغالية، ينتمي لعائلة البراهما الكهنوتية الهندوسية.

2 رابندرانات طاغور، ديانة الشاعر، ترجمة موسى الخوري وغسان الخوري، دار الغربال
دمشق سوريا ط 1988 ص 33.

3 المرجع نفسه ص 59

ثالوث العُنف



مَصْنَعُ الْأَزْمَاتِ: الدَّوْلَةُ، الْاِقْتِصَادُ، الْاِعْلَامُ



الدولة والعنف

"إن مبنى الملك على أساسين لا بد منهما: فالأول الشوكة والعصبية، وهو المعبر عنه بالجنْد؛ والثاني المال الذي هو قِوام أولئك الجنْد"

ابن خلدون

يَتَّسَم عصرنا بتنامي قوّة "الدولة" وارتباطها بكافة مناحي حياة الإنسان اليومية اقتصادياً واجتماعياً واعلامياً وأخلاقياً... حتى أمست "الدولة" حاضرة أحياناً في وجدان الفرد أكثر من حضور نفسه فيه.

ومن الطبيعي أن نتساءل لماذا تنتهج "الدول" السبل العنيفة لتحقيق مآربها؟ وما هي الطرق التي ينتهجها "الساسة" للتوصل الى "الهيمنة" شبه المطلقة على الشعوب؟ وما هي الآليات التي اعتمدها "هتلر" او "ستالين" أو "بوش" للسيطرة والتوسع... مِمَّنْ أقحموا العصر في أتون حروب مدمرة، ولماذا أدين هذين الرجلين خلال القرن العشرين مثلاً دون سواهما ولم يُدان الأخير؟ ولماذا يدان "المنكسر المنهزم" في الحروب الكبرى ويوصم بـ"السفاح" في حين ان "المنتصر" المسيطر يُصور على أنه "فاضلٌ" بطل شجاع؛ واعتبار ان كل المعارك التي خاضها هي "حروب عادلة" و محض "دفاع عن الإنسانية"؟

ما زال "زعماء الدول" حتى اليوم يُمارسون شتى أنواع العنف الداخلي والخارجي ويزجون الشعوب في الحروب، مستعملين لذلك وسائل أكثر قذارة من تلك التي استخدمها "هتلر" في عصره؛ فالأبحاث التي تُحَصِّرُ لولادة اسلحة "جينية" وبحوث "الاستنساخ البشري" وتعديل الحمض النووي جارية على قدم وساق، والاسلحة الذرية النووية منتشرة في كثير من الدول، والاسلحة البيولوجية والفيروسية ما زالت تُخصص لها ميزانيات ضخمة تحت مسميات "الأبحاث العلمية"...

هذه القضايا لا تنذر بالسلام ولا بالخير العميم، وجشع "الهيمنة" يكاد يكون المسيطر الابرز على العلاقات الدولية الآن، وان اتخذ لغايته أقنعة منمّقة وادوات "راقية"، وتخفّى بشعارات "إنسانية".....

مجتمعات بلا دولة:

تاريخياً؛ لقد شهدت الحضارات الإنسانية مجتمعات بلا دولة، وحتى عهد قريب كانت بعض المجتمعات القبلية ترفض "سلطة الدولة" وتتهرب منها ولا تتعاون مع مؤسساتها، مفضلة العيش في الادغال او الصحراء على الانضواء تحت سلطة معينة على بقعة جغرافية ضيقة.

إن ملاحظة بزوغ الدولة عبر تاريخ الأمم يُظهر أن ولادة "الدول" ارتبطت بـ "العنف الدامي" حيث أن "الزعيم العسكري" يولد سلطته بـ "النصر" و "الغزوات" وبقوة السلاح وبارتكاب المجازر في كثير من الاحيان.

فالمسار السلطوي لقيام دول أو انهيارها، ارتبط بالعنف "الكارثي" و "الحروب المدمرة"، التي تعمل على توليد معطيات جديدة مغايرة للواقع السابق، تليها فترة كمون تستقر فيها

المجتمعات، وتتلور فيها العلاقات الاجتماعية وغيرها من جديد لتتمأسس السلطة على شكل "دولة" جديدة.

وقد شكّل مفهوم الدولة وعلاقته بالسلطة محوراً أساسياً في البحوث السياسية، غير أن علاقة السلطة بالمعارف الإنسانية، لم تحظى بالاهتمام نفسه من قبل الباحثين، وبقيت الطروحات الفلسفية ومفاهيمها التقليدية متمركزة خارج الدائرة السياسية وان اقتربت منها، علماً انه لا يمكن لنا تناول الموضوعات الفكرية والفلسفية او دراسة اي حالة تخص الواقع الإنساني والمجتمعات البشرية بمعزل عن السياسية وان حيدت عنها، فالمعرفة ترتبط بالسياسية وتتجاوزها، وهي غير مستقلة بذاتها وان ارتدت على كل السلطات ونقدتها.

لقد حاول هيغل في طروحاته الفلسفية ربط تاريخ الفلسفة والحق والمعرفة بتاريخ "الدولة". حيث اعتبر أن التاريخ السياسي ليس الا تاريخ الفكر الذي يتشكل في الاجتماع والعقلانية والعلاقات بحيث يتجسد على شكل دولة ؛ فالدولة بنظر هيغل هي هدف "العقل المجتمعي" وهي "جوهر" بحد ذاتها؛ أما ماركس فقد استبدل الطروحة الفلسفية بـ "القوى المنتجة" التي تحدد بنيت المجتمع الفوقية ومنها الايدولوجيات

والمؤسسات والدولة.. وعنده فإن الدولة تتضمن "الصراع الطبقي" و"عنف الطبقات"...

بطبيعة الحال فإن طرح ماركس هو تقييم "شمولي" للدولة يحدد شروط "أفول الدولة" بدلا من ولادتها، في مجتمع متصارع تغزوه الكثير من التناقضات.

ولعل أحد أهم ثغرات الفكر الماركسي أنها لم تلحظ الأنماط السلوكية والأنشطة المجتمعية التي لا سمة طبيعية أو منطلقات مادية لها، فإرادة "القوة" و"الهيمنة" لا يمكن اختزالها كلها بلجانب "الاقتصادي" وحسب، وإن كانت الموارد الانتاجية هي أهم مكونات السلطة وممارستها.



مفهوم "السلطة" وعملية إدارة العنف

تُحدّد شروط السلطة السياسية وحدودها بوجود الموارد الطبيعية والبشرية، أما عملية المحافظة على كيانها فيرتبط بإدارة الموارد عبر "القوانين والانظمة والأعراف" التي تُعيد إنتاج العلاقات عبر المجتمع، وهنا تبرز أهمية الضوابط القيمية والأيدولوجيات.

لقد تطور "استعمال العنف" في عصرنا الحديث؛ بعد أن كانت "السلطة" تمارس عنفاً "مباشراً وخالصاً" عبر استخدام المرتزقة والنهب المباشر والسلب والاحتلال وفرض الضرائب

والخراج... فإن العنف الحالي في "السلطة الحديثة" يَتمثّل في إيجاد "أرضية قانونية" حديثة تُقنّع العنف وتنطلق من خلالها، لأن ديمومة انتاجية "العنف المباشر" انهارت تحت وطأة متغيرات العصر الحديث، ومع ذلك فإن "السلطة السياسية" تَحرق الحدود "القانونية" التي وضعتها لنفسها عبر الحروب التي تصبح "ممكنة" وفق تصورها بواسطة شروط معينة.

إن الدولة إذن هي عبارة عن كيان سلطوي اعتباري مجرد له وجود اجتماعي ومحسوس، مثّلها كمثّل القيمة الشرائية للنقود الورقية، وهي عبارة عن مجموعة علاقات مترابطة تتمثل في إدارة الوقائع، وهي بذلك ليست جوهرًا صِرْفًا ولا ممارسة خالصة؛ وإن حاول البعض ربط الدولة بالمفاهيم المجردة كالقانون والدستور والعدالة... فيما حاول البعض الآخر توصيفها بدولة المؤسسات واشكالها من تكنوقراط او بيروقراط... ولكنها كمفهوم تظل متأرجحة بين الجرد والمادة، وتتخذ من "العنف" و"القمع" المنظم أداة لتسيير إرادة "الهيمنة".

لا نريد بمحاول من الأحوال من خلال هذا المقال ان نُدين "مفهوم الدولة" ونربطه بـ"العنف" بإحكام، فمن المتعذر ان نجد واقعًا لا "سلطة" فيه. غير ان مشهد الأنظمة السياسية

السائلة في الشرق الأوسط يتطلب منا وقفة تأمل، حيث ان "الدولة" لا تُمثّل في أذهان أبنائها سوى جهازاً تأديبياً ومؤسسة "عقابية" تُمارس العنف في محاولة منها للحيولة دون تطوّر الشعب حضارياً والانتقال به الى طور النضج والوعي الثقافي والإنساني.

رهاننا اليوم على "الإنسان" فعلية "التحرر" الفعلي من السلطة "الجائرة" - أي "سلطة" - لا تتم الا عبر عملية "استيعاب" العنف السلبي واعادة انتاجه "قوة ايجابية" نحترم الإنسان والكون وتجعل من "اللاعنف" شعاراً لها.

أسئلة مشروعة!

أتساءل دوماً: أليست إنسانية الكائن كافية لتسقط عنه كل جوازات السفر؟ أليست الكائنات الأخرى أكثر حرّية منّا نحن البشر "المتحضرون"؟

فالتائر لا يستأذن "السلطات" كي يعبر الأجواء، والأسماك تدخل المياه الإقليمية للدول دون استئذان، والحيوانات البرية تجتاز "الحدود السياسية" دون جواز سفر، والشمس تُشرق على الجميع والعشب ينمو حتى فوق ركام القنابل!

وما هو الوطن؟؟ وماهي الجنسية؟؟ ماهو هذا الكيان الذي
نلهث وراءه باستمرار ودون وعي نطلب منه "الاعتراف
الدائم بنا"؟

وهل يُعقل أن ننعت من يسكن (المصنع) باللبناني ومن
يقطن (جديدة يابوس) بالسوري¹؟ وهل يعقل ان نصف من
يعيش في الضفة الغربية بال فلسطيني ومن يعيش في الضفة
الغربية بالأردني؟

وهل يعقل أن نرغم القبائل التي تنقلت عبر قرون تجوب
جزيرة العرب على تقسيمات "سياسية" إحداها تعيش في عُمان
وأخرى في قطر وثالثة في الإمارات ورابعة في الكويت وخامسة
في السعودية... وهم أبناء عائلة واحدة وجدّ واحد؟ فيُمنح
البعض "جنسية" فيما يبقى الآخر تحت مسمى "البدون"؟؟
فما هي الأسس و المعايير التي تقسّم البشر وتحولهم إلى
تجمعات "عنصرية" تحت مسميات "شرعية" تسمى زوراً
بـ "الدول"، وهم على الحقيقة أخوة وأبناء أم واحدة
وكوكبٍ واحدٍ؟؟

1 المصنع: قرية لبنانية تقع على الحدود السورية - اللبنانية
جديدة يابوس: قرية سورية تقع على الحدود السورية - اللبنانية

إنها تقسيمات اخترعها الكائن البشري "الأكثر عنصرية
وغلبةً" ليمارس فيها "فوقيته" و"استغلاله" للآخرين عابثًا
بالطبيعة ومشوّها البيئة و"مستعبداً" لمن هم "أقل منه نفوذًا"
مدخلا الشعوب والأرض في خرم تقسيماته العرقية والاثنية
والطائفية.

وهل يُعقل أن نُرغم الإنسان على تشويه فطرته السويّة
وصبغته الربانية من خلال اعتناق مذهب أو "دين" لم يختاره،
وان يُزجَّ به في حروب تبيد البشر والحجر والشجر تحت مسمى
"حروب مقدسة"؟

أليس الخلق كل الخلق عيال خالقٍ كريمٍ واحد؟
"قساة هم البشر (إذن)، لكن الإنسان رحيم¹!"

1 رابندرانات طاغور، طيور شاردة، مرجع سابق، ص 50



الاقتصاد والعنف (مآفيا الاقتصاد المعولم)

لا نريد أن نقف من مفهوم العولمة موقف المعادي الرأفص فهي ليست شرّاً محضاً أو فزاعة ينبغي تجنّبها، كما أنّ انتقاد "العولمة" الجامحة الغير منضبطة يجب ألا يوقعنا في فخ الأيديولوجيات والأصوليات، فالعولمة أحدثت بلا شك واقعاً خصباً لتبادل الخبرات المعرفية والتلاقح الفكري فاتحةً مجالاً رحباً للتعایش الإنساني الخلاق.

وقد رحب بعض المفكرين منذ مطلع التسعينيات بـ"فتوحات العولمة" معتبرينها مفصلاً مهماً للانفتاح الحضاري.

يقول علي حرب في هذا السياق: "إن امبريالية الأسواق الحرة التي يفزعون منها على مصالح الشعوب، هي أقل بكثير كلفة، دماءً ودماراً، من المشاريع التي طرحت شعارات التحرر والتقدم الاجتماعي أو السياسي، فإذا بها تُنتج الكوارث على الصعيد الوجودي، بقدر ما ترجمت إلى أنظمة شمولية أو إلى معسكرات بشرية راح ضحيتها الآلاف المؤلفة، مُشكّلة بذلك الوجه الآخر للفاشيات القومية والأصوليات الدينية التي تسعى وراء أحلام مستحيلة حصيلتها سحق الشعوب وتدمير المجتمعات، تحت راية الدفاع عن الهوية أو مقاومة الغزو"¹

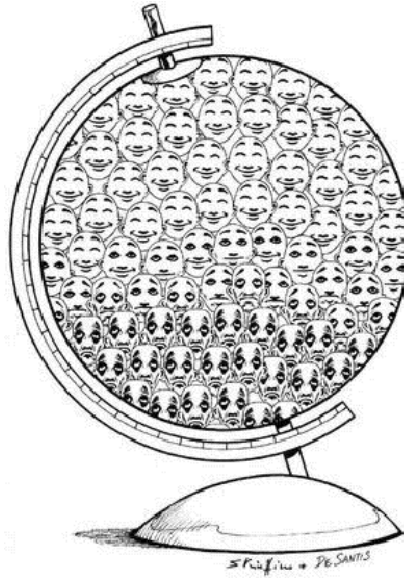
بيد أن هذا الاحتفاء بالعوكمة أخذ يتراجع مع بروز جشع السوق الرأسمالي المنبني على المفهوم السلبي للإقتصاد الذي يُشكل مسرحاً دراماتيكياً للعبة رأس المال، لا سيما بعدما انفجر أزمة مالية مدوية واضعاً خبراء الإقتصاد أمام إشكالية حقيقية جعلتهم يعيدون النظر في الاستراتيجيات، فيما يشهد العالم تدهور ونكوص حادّ يحمل في طياته بذور فوضى في ظل جهود دولية للملمة للتداعيات.

1 علي حرب، تواطؤ الأضداد، الآلهة الجدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، ط. 2008، ص 256

علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولة ومازق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2000.

فهل ستنجح المساعي لتوفير رخاء البشر في ظلّ غياب الإنسان؟! وهل السبب يكمن في العولمة نفسها أم في أسسها وتطبيقاتها؟

إن العولمة الحالية " بشعة أنانية " بيد أن العولمة كمفهوم إيجابي يحمل الكثير من القيم الإنسانية وفنّ التعايش، ونحن كبشر نخيرون بين عولمة الانانية الشرسة وعولمة الإنسانية السمحة!



عولمة الأنانية و مافيا الإرهاب

أحدثت "الثورة الصناعية"¹ علامة مؤلمة في تاريخ الإنسان، حيث عملت على توليد "أنوية مادية"، بالغت في جشعها وتبلورت على شكل "رأسمالية مطلقة"، حيث تشكلت مجموعة صغيرة من "الأنوات" امتلكت كل وسائل الانتاج، فيما أصبحت الكثرة مجرد أرقام عاملة في دولا بها، مكرسة بذلك نوع من الاستغلال لم تشهده الإنسانية من قبل.

1 ندره اليازجي، فلسفة الإنسان التائر، مرجع سابق، ص75 وقد تناول بعمق الأزمة التي أحدثتها الثورة الصناعية معتبرا أنها نقطة سوداء بتاريخ الإنسانية.

وبحسب إحصاءات المنظمات المعنية بالاقتصاد العالمي فإن نسبة قليلة من الناس لا تزيد عن 20% تتمتع بـ 80% من الثروة، فيما تراجع حصة الـ 20% الأدنى إلى ما دون 1،4%، فيما "النظام العالمي" الحالي هو الأداة المكرسة للحفاظ على هذه القسمة المجحفة لضمان تلك الامتيازات للأثرياء، وكل القلق الذي تبديه بعض الدول من امتلاك دول جديدة للسلاح النووي مرده الى الرغبة في إبقاء الجور على حاله وابقاء الامتيازات السلطوية ومصادر الثروة في العالم تحت سلطتها.

ومنذ مطلع التسعينيات من القرن العشرين، حذر الكثيرون من علماء الاقتصاد من الآثار السلبية المهددة بالبشرية جراء "الاحتكارات" والظلم الذي أطلقه "النظام العالمي الجديد"، حيث أدت "الليبرالية الاقتصادية المطلقة عن الشروط" التي طالبت بتحرير التجارة الدولية من كافة القيود، وبتحرير حركتها وتحويلها من القطاع العام الى الخاص، الى تحويل العالم والدول الى "مجموعة شركات" متنوعة الجنسيات، يملكها في معظم الاحيان "الحكّام" الذين يخوضون الحروب لضمان "أسواقهم"؛ وفي دوامةٍ من العنف تدور رحى الحرب بين أركان العنف حيث يسيطر أصحاب الشركات ورؤوس

الاموال، على مراكز صنع القرار التي تتحكم في الاقتصاد العالمي وتحرك الاستراتيجيات العسكرية، وكل ذلك على حساب الشعوب. انها ببساطة تحويل الدول الى "مافيات إرهابية"!

فماذا ينتج عن عمل المافيا هذه؟ نجد ان الوسائل والنتائج ستكون "عنفية" بلا شك، ونسجل في هذا السياق النقاط التالية:

اولا: تراجع الديموقراطيات في كل دول العالم: فالنظام العالمي والعولة الاقتصادية العدو الأول للديموقراطية، لأن كبرى الشركات تعمل على إزاحة السلطة السياسية أو شرائها، وتصبح القاعدة "كل فرد وله سعره"، فالناخبين هم موظفون في شركات "الرئيس" المنتخب! وهم من يهتفون له في حملاته الانتخابية، ويصبح التنافس على السلطة السياسية في الانتخابات مجرد تنافس على النفوذ الاقتصادي والامتيازات المادية.

ثانيًا: تكريس الصراعات والأعمال العسكرية: بما يضمن "فتح" اسواق استهلاكية جديدة وتحريك "الركود" في سوق الأسلحة، وتحقيق المكاسب الاستثمارية بالدول المنكوبة، وإعادة توزيع إدارة الثروات من جديد بما يضمن استمرارية عمل المصانع وحصولها على المواد الأولية.

ثالثًا: تدمير البيئة: بشكل مباشر وغير مباشر عبر استنزاف الموارد الطبيعية واستخدام الاراضي لطمير النفايات السامة واستغلال الثروة الخضراء وانبعاث الغازات السامة المسببة للاحتباس الحراري.

رابعًا: انهيار الإنسان وحقوقه: وهو تحصيل حاصل لمنطق الاحتكار، فالإنسان ككيان روحي ونفسي متكامل لا مكان له في هذه المنظومة المادية، وهو مجرد "رقم استهلاكي" على جدول الاقتصاد العالمي يتم التعامل مع صورته المادية فقط وبعده الجسدي، وتصبح المرأة فيه كائنًا سليكونيًا غيبًا مستهلكًا يُحقق المتعة لاهثًا وراء عمليات تغيير الخلق، والرجل فيه "إلهًا" يسعى لامتلاك "المال" المؤدي للسلطة الجانية للأرباح!

خامسًا: الدعاية والاعلام المضلل: التي تُشكل الخيط الرابط الذي يتخلل شتى اعمال العنف، حيث انها تخضع بالكامل لسلطة "رجال الاعمال المعلنين" الذين يوجهون الأحداث المحلية والعالمية والسياسية والاقتصادية بما يتناسب مع مصالحهم! فتلوّن الاخبار وتُبدّل الأحداث وتُنقلب المفاهيم ويتصدر الاعلامي النجم المطيع لاستراتيجية "فضائته"، ويصبح الإنساني الواعي في خبر كان!

إن مجتمعنا البشري مريض لأنه يدور في دوامة العنف الدائم ويتلقى الكراهية والخوف كل يوم، فأنظمتنا الاقتصادية واستهلاكنا الجشع وضجيج أفكارنا وبرامجنا التلفزيونية والسينما والأخبار وغيرها، كلها تسقي بذور العنف والحرب على الدوام! لقد تقبل البشر العنف كطريقة حياة! إنها الكارثة!

فكيف تكون البداية؟

إنّ مهمتنا الأكثر إلحاحًا هي تنمية الوعي والبصيرة الصائبة عبر ممارسة الانتباه والتأمل، وعلينا التمعن بعمق بكل ما نقوم به...فإن لم نقوم جوهر اللاعنف والرحمة في دخيلة نفوسنا فلن نقمه أبدًا على الأرض.



عنف السياسة والاقتصاد: مشهد دراماتيكي!

إن طرح اشكالية النظام الاقتصادي العالمي يُحتمّ علينا أن نتساءل بجديّة عن طبيعة تلك العلاقة الجدلية القائمة بين "الدول النامية" و"الانظمة العالمية" وكيف "ان الانظمة التوتاليتارية" الشمولية في العالم الثالث التي تدعي "الاشتراكية" كانت هي الشريك الاول في "الرأسمالية السلبية" والعوامة والوقود الداعم لها فيما هي المتضرر الأكبر من سلبياتها؛ فأين يقع أبناء هذه المنطقة على خريطة "نظام الاقتصاد العالمي" وما هو مدى تأثيرهم به؟

بطبيعة الحال فإن السياسات الخارجية والعلاقات الدولية خضعت لا سيما في الاعوام الاخيرة لسلطة ومصالح "الشركات العالمية العملاقة"، وتشكلت المحاور الاقليمية والدولية على أساس اقتصادي تجاري أكثر من مقتضيات التضامن الدولي تجاه الشعوب لا سيما تلك التي تتعرض لانتهاكات حقوق الإنسان، وهمش دور الامم المتحدة وتراجع أداؤها! وشنت الحروب خلف قناع مكافحة "الارهاب"، في وقت كانت هذه الدول تريد ضمان مصالح اقتصادها وتسويق أسلحتها فيما تذرعت بالشعارات "الإنسانية" وقد اشرنا لذلك في الفصل الاول من الكتاب.

إن النظر بذكاء و روية لمنطق الامور يحتم علينا إعادة النظر في منظومتنا "الاقتصادية - السياسية"، بالكامل ولا نظن أننا في ظل ممارسات بعض الانظمة العربية الموجودة حالياً يمكن ان "نسلم اقتصادياً" فالاقتصاد لم يكن يوماً بعيداً عن السياسة أو منفصل عنها، وهذه الأنظمة باعت الإنسان ومصالح شعوبها ورعاياها بالجملة والمفرق منذ زمن بعيد، من أجل الحفاظ على الكرسي وهي قبضت الثمن سلفاً وعلى "داير باره"، ف"الحكام" في هذه الانظمة يحكمون وهم على فراش المرض

العضال والموت الزؤام، وما من أحد يَمْزَحِجْهِم عن عروشهم!
ويود أحدهم لو يعمر ألف ألف سنة!
لا شك في أن الدول الراحية "للعملة الرأسمالية" حرصت
كلَّ الحرص على ضمان استمرار "الانظمة الشمولية"
و"الانظمة القبلية" في منطقتنا، لأنها حققت بذلك مكاسب
جمّة أهمها:

أولاً: توقيع العقود التجارية والاستثمارية والتي حولت
المنطقة الى السوق الاستهلاكي الاول في العالم.
ثانياً: وضع الدول بحالة تبعية غذائية من خلال السيطرة
على المحاصيل الزراعية وتصنيعها، في ظل غياب الأمن الغذائي
والدوائي عن مشاريع التنمية العربية!
ثالثاً: الاستغلال السيئ للبيئة والموارد الطبيعية: فالدول
الصناعية تستخدم دول العالم الثالث مكباً لنفاياتها السامة،
ومكاناً جيداً لانشاء مصانعها في ظل انخفاض أجور اليد العاملة
وتنامي عمالة الاطفال علاوة على انها تحيّد أراضيها عن التلوث
البيئي فتقله بمشاكله الى اراضي الآخرين!

رابعاً: تحول الانظمة "الحاكمة" في الدول الى شركات:
ففي الوقت الذي أعلنت فيه "الدول النفطية" تحالفها

الصريح والواضح ومنذ البداية مع "النظام العالمي الجديد" وكانت لاعباً أساسياً في العولمة الاقتصادية؛ وهي منذ البداية تعتمد "نظام قبلي" في الحكم يكرس مبدأ "سلطة الزعيم المالك للمال"، فإننا نجد أن الدول العربية الأخرى التي ادّعت طيلة سنواتها الماضية أنها "ديموقراطية" واتّهمت الآخرين بـ "الامبريالية" وتغنّت بـ "الاشتراكية" ردحاً من الزمن! قد تحولت بعضاً سحرية الى "الخصصة"!

فالدول العربية كلّها بما فيها الاشتراكية والبعثية واليسارية تحولت الى "شركات خاصة" يملكها "الزعيم" وتوابعه ؛ وأصبحت الاشتراكية عرين الرأسمالية وأمست الدول الشمولية متراساً لفساد الرأسماليين، وفي صورة غريبة غير مسبوقة صار النظام الجمهوري نظاماً ملكياً يورث!

إذن نحن امام انظمة اختلفت شعاراتها وتنوعت مصالحها غير أنّها كلّها في دوامة العنف تقبع ولهتك حقوق الإنسان تعمل.

أما من الناحية الاقتصادية فكلها مرتبطة بشكل او بآخر بمنظومة العولمة السلبيّة ولا شك في أن آثار الأزمة المالية واضحة المعالم، وإن محاولة بث الاطمئنان في نفوس العباد من خلال

"الاعلام الموجه" من قبل السلطات "واستضافة" اقتصاديين قبضوا ثمن مقابلتهم التلفزيونية "سلفاً" قبل ان يدلوا بدلوهم ويبشروا الناس بان "الاجواء الاستثمارية" ممتازة، وان الاوضاع المالية على أحسن مايرام، لا يغني عن حقيقة ارتباط "المصارف العربية والخليجية" بشكل عضوي بـ "المصارف الأم"، وان انهيار الاخيرة سيؤثر عليها حتماً، علاوة على ارتباط العملات بالدولار بشكل مباشر وان انهياره يعني تأثرها، فثبتت سعر الصرف لا يلغي حقيقة فقدان القيمة، إضافة الى تأرجح أسعار النفط وأحوال البورصات وانهيار اسعار الاسهم الذي لا يخفى على أحد.

يقول غاندي: "لا يمكن إلغاء استغلال الفقير بمجرد تدمير حفنة من أصحاب الملايين، وإنما بإزالة جهل الفقراء وتعليمهم كيفية التعاون مع مستغليهم، مما يساعد على تغيير المستغلين أنفسهم.. هذا سيؤدي إلى ان يصبحوا شركاء متساوين. فرأس المال يجد ذاته ليس شراً إنما الشر يكمن في سوء استعماله"¹

1 المهاتما غاندي: هاريجان، 28 يوليو 1940 ص 219.



الاعلام والعنف

متاريس الفضائيات في عصر الصورة¹

"إنكم تتكلمون عندما تُوصد دونكم أبواب السلام مع أفكاركم"²

جبران

لا شك في أننا كشعوب نُتَقِن فنَّ الكلام ونفتخر بأننا
صُنَّاع الحرف والخطب العصماء والمعلقات، فمؤتمراتنا السياسية
بما فيها القمم و ندواتنا الفكرية أمست عبارة عن "مَكَلَمَة"

1 بالامكان العودة الى كتاب المؤلفة المعنون: أفكار متمرّدة في الفكر والثقافة والسياسة، الصادر عام 2008.

2 جبران خليل جبران، النّبي، مرجع سابق، ص 146.

تداعب انفعالات الشعوب وتُسكن آلام الأفول والارتكاسات الفكرية والعملية على حدٍّ سواء؛ ولعل وسائل الاعلام والفضائيات تُعد أحد أهم منابر دوامة الكلمة تلك.

وئمةً مراحل مفصلية في عمر الشعوب لا تمحوها الأزمنة وتُعاقب الأيام، ولعلنا في زمن بلغ الدمار مداه حتى استحق هذا العصر لقب "عصر العنف" بامتياز الذي تبلور من خلال تجليات عدة.

في عصر العنف هذا يضعف إعلام المنبر وتضمحل ثقافة الحوار وتتلاشى الصحافة الحقيقية الحرة، والسبب الرئيس هو سيطرة متاريس عنف الفساد الاعلامي التي تتجلى عبر نماذج تعد الأكثر رواجاً والاكثر رجحاً على الشكل التالي:

فضائيات الإرشاد اللاهوتي والعقائدي وهو "إعلام الكبت" ورفض الآخر: الذي يكرس الخطاب اللاهوتي الدوغمائي والذي غالباً ما يضع الامور في إطار المحرمات والغيبيات التي لا تُناقش. وتشهد اليوم هذه الفضائيات انتشاراً منقطع النظير كما أنها تكرس الانقسامات "المذهبية" و"الطائفية" بشكل صارخ وجارح.

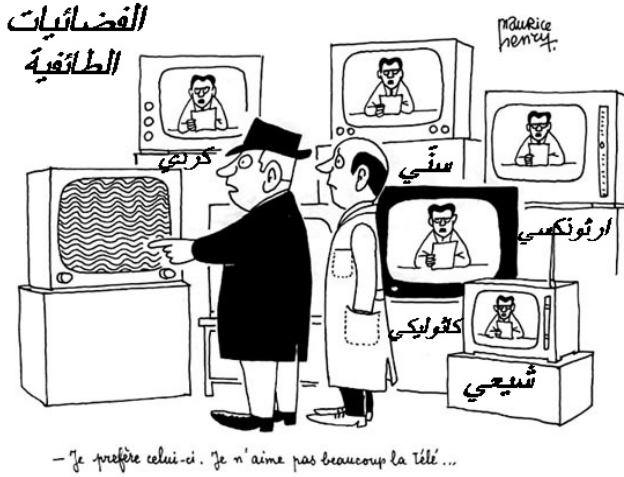
فضائيات السُخف والتسطيح و"إعلام العري السلي" وهو اعلام "الكبت المضاد": والذي لا يشكل في حقيقة الأمر

سوى صورة أخرى مضادة للكبت السياسي والجنسي والديني وهو بمثابة متنفس للشباب اللاواعي ولاحتقان الشعوب من رداءة الوضع القائم، وتكثر هذه الشاشات من عرض كل ما هبّ ودبّ بغض النظر عن أيّ مضمون فكري، بحيث يجد المشاهد نفسه أمام نُسخ متعددة من راقصة وباسماء متنوعة "يرقصن بانفعال" مستمر مقزز وقد تكفل السيلكون بنفخ الشفاه والاثداء وتكفلت عمليات التجميل بقص الطويل من الأنوف وشد المترهل من البطون وشفط الزائد من الدهون.... ويجد الشباب متنفساً للكبت والقمع السياسي والاجتماعي عبر متابعة الصخب تحت مسمى موسيقى وان كانت عارية عن أي لحن أو فنّ.

فضائيات الإعلام الرسمي الموجه أو "الإعلام الوصائي": التي تحرص على تقديم ألمع صورة للسلطة السياسية الحاكمة... فالدول العربية كلها مازالت تعتمد بشكل مباشر عبر قنواتها الرسمية أو بشكل غير مباشر عبر القنوات الأخرى من خلال "المساهمة المادية في رأس مال القناة"، وتعمل هذه القنوات على التسبيح الدائم بحمد "الزعيم" وابتائه والتهليل والتكبير له ولإنجازاته العمرانية والاقتصادية والانمائية والرياضية...

حتى يُخيل للسامع بأنه امام شخصية "اسطورية خارقة" بحيث يستحيل على العقل السليم تقبل كل تلك الانجازات العظيمة مجتمعة في شخص واحد!

فضائيات الاعلام المتحزّب العنصري او "إعلام الجدار" وهي الفضائيات الإخبارية التي تمنح نفسها حق مصادرة الحقائق واطلاق الاحكام وتخوين الافراد والمجتمعات واعلان النتائج... وقد تكاثرت هذه الفضائيات في الآونة الاخيرة، وتتجلى واضحة في الدول ذات التعدد الطائفي والمذهبي حيث يبدو أفراد كلّ حزب وفضائية بما لديهم فرحون....



ضجيجٌ ضجيجٌ!

ضجيجٌ حالنا وحال اعلامنا... في طلبنا نفرط في التفكير
ونفرط في الكلام، نتكلم (مع انفسنا ومع الآخرين) نحلل
نتفلسف طوال الوقت. كلمات كلمات... ضجيج ضجيج...
ما أحوجنا إلى الصمت كي نرى!

"إذا نظرت إلى شجرة فرأيت شجرة فأنت لم تر الشجرة حقاً.
أما إذا نظرت إلى شجرة ورأيت معجزة، إذ ذاك أخيراً، فقد رأيت!"¹

1 أنتوني دو ميلو، أغنية الطائر، سلسلة الحكمة 3، ترجمة أديب خوري، دمشق سوريا، ط2000، ص 33



شاشة القمامة تسوّق ثقافة العنف

النماذج الاعلامية وان تمايزت صورها من "إعلام الكبت العقائدي المؤدج" إلى "إعلام الكبت المضاد التافه" إلا أنّها جميعها ولدت من رحم اليأس والاستسلام والانعزال وتعمل على تكريس الذهنية الانفعالية وتسطيح الكائن الإنساني وتحويله الى سلعة، وأمست الشاشة مستوعب نفايات فكرية وفنية على السواء، وتحول

دورها من أداة فاعلة في الحوار بين الثقافات، إلى أداة تفتيت مدمرة تغذي العصبية والعنصرية والمذهبية والعرقية حتى ضمن الشعب الواحد، وما مشهد الاعلام العراقي واللبناني عنا ببعيد، فالخطاب الاعلامي الحالي يساهم بشكل مباشر في إنتاج مجتمع مشحون طائفياً ويحوّله الى ارض خصبة للحروب الأهلية، بحيث أصبح اعلام القمامة العنصري أداة تسويق لثقافة طاعة الأيديولوجيات المتصارعة والمذبيات المتلحرة.

كما وقعت معظم الفضائيات في التكرار والمشابهة في لحظتنا الثقافية وامست البرامج متشابهة الى حدٍ بعيدٍ في ظل تكرار الضيف الرمز نفسه وفي ظل شيوع نمط الإعلامى الجاهز المتورط بإعادة إنتاج ظاهرة المواضيع المكررة، وأمسى الإعلامى -خصوصاً في الفضائيات العربية المشهورة - يُمارس عقلاً مركزياً تكرست عوامله الوجودية والإجرائية بفعل انحسار عوامل ثقافة النهضة على حساب ثقافة الشك بالآخر التي تلقى رواجاً كبيراً في زمن الانكفاء على الهوية.

إن سمات الاعلام العربي اليوم تتميز بالاستعراض على حساب الموضوعية، والردح على حساب النقاش، والتخوين على حساب حق التنوع والتعدد، والتضخيم والتحويل على

حساب التقييم والنقد، والاتهامات والشتائم بدل الدلائل؛ هذه السمات منبعها احتقار الإنسان وحقه في الاختلاف تحت شعار حرية الذات احيانا، في حين ان التعاقد الاعلامي الديمقراطي الحر يفترض ان الحرية ليست مسؤولية تجاه أحد ما، بل هي مسؤولية بحد ذاتها.

وتبقى التساؤلات: أي منتج فكري تريد وسائل الإعلام أن تقدم في عصر أمسى التحكم بالمعلومة أمرا مستحيلا؟؟؟ وهل هذه الوسائل منتجة لعقليات منفتحة مبدعة قادرة على خلق فرص التعايش والمشاركة في البناء السوسيولوجي والعمل السياسي؟؟؟ وهل تساهم مساهمة فاعلة في تطوير وتنمية الفكر النقدي، والتفاعل الحضاري وطرح القضايا بشكلها العقلاني؟؟؟؟؟؟ وكيف يمكن أن تعمل وسائل الاعلام على الانعتاق من أسر المعلنين للحفاظ على الموضوعية.

وأين الإنسان في إعلامنا الصاخب و المؤذع؟

إننا نحتاج إلى إعادة بلورة برامجنا للانتقال بها من طور السلبية الفكرية الى طور الفعل الحضاري ونشر الوعي والارتقاء بالإنسان من مستوى الغرائز الى مستوى التحليل والوعي،

وذلك لا يكون الا من خلال إنقاذ السياسي من خرابه
الايديولوجي، والثقافي من أزمته الفكرية الحادة، وانقاذ الاعلامي
الميديائي من تكراره، وایجاد بيئة تهیئ العوامل الموضوعية لتنمية
فكرية وعملية منتجة، للنهوض من حالة الاستسلام الفكري
الى حالة المعرفة ثم الى مرحلة الوعي فالابداع فالارتقاء.

وإذا ما أمعنا النظر والفكر في شؤوننا وآلام شعوبنا المثقلة
بالتخلف وأعباء التشرد والمرض لوجدنا أن هناك استسلام
للعجز ونقص حاد في درجة الوعي وتراجع فكري واضح،
فهناك قاسم مشترك عند كافة الشعوب "المتخلفة" هو العجز
عن إدراك المنظومة الطبيعية والقانون الذي يحكم البيئة، وهو
أمر جعلها تقف خلف متراسها الثقافي الديني في صراع داخلي
دائم مع تعدديتها الأصلية، ربما "الثورة" على هذا العجز أي
مغادرة واقع العنف، تعد الحرك للتحرك والاقبال على اكتشاف
مكونات الكون من خلال استقراء علمي معقلن، فجوهر
الحريات هو تحدي العنف والقمع بما فيه الفكري والتخلص من
العصبيات، وعندها يسكن السلام أفكارنا.

ربما كلنا معنيين في رفع شقاء العنف عن انفسنا
والمسؤولية لا تقع فقط على وسائل الإعلام، بل على كافة

مفردات التركيبة المجتمعية، فتتحول عندها إلى أداة للابتكار والإبداع والخلق لا أداة للتضليل، بالإضافة إلى أداء وظيفتها في مناخ تسوده حرية الرأي والتعبير، وتشارك فيه كل الكفاءات القادرة على الإبداع والتجديد والتواصل مع الآخر، وهو ما يوفر فرصاً انخراطٍ متوازنٍ ومتكافئٍ في ما يصطلح عليه بمجتمع المعلومات.





اللاعنف خيار الإنسان الواعي

ان اللاعنّف هو بلورة لأقصى درجات الإنسانية وأرقاها وهو يُجسّد ممانعة حقيقية صارمة، من خلال اللاتعاون مع كافة الاشكال المؤدية الى الظلم ومنها ثلوث العنف؛ إن التجارب الإنسانية على مر العصور اثبتت ان أفقها غير محدود ولا متناهي، فمن الممكن الانعتاق من دوامة العنف عبر الوعي الإنساني والخبرة الروحية الموجودة أصلا في أعماق كل كائن إنساني.

فعندما يرتقي الإنسان بوعيه¹ ويتطور، ينتقل من مرحلة معرفة الحقائق الى اختبارها المباشر فتسقط الحاجة لديه لإثبات تفوقه و ممارسة ما يعرف بالسيطرة، لأنها ارتقاء بالوعي البشري من المستوى الغرائزي اللاواعي المنبني على ان السلطة هي القوة والقوة تصنع الحق، الى مستوى الوعي القائم على ان الحق يقرره التحليل والعقل لا القوة، و تتحول الأمور من صراعات شخصية تهدف الى مجرد التفوق على الآخرين الى إرساء مبادئ إنسانية تهدف الى البحث الحثيث للوصول الى السلام.

وفي المرحلة الأعلى من مراحل الارتقاء عبر الوعي الأعلى للوجود حيث يتجاوز الوعي الإنساني المادية السياسية لتصبح فنًا للخدمة ولادارة اعمال مبادئ العدالة وتنمية ثقافة اللاعنف والابتعاد عن اشكال الاكراه كافة، لأن إرادة السلام لا تكون برفض الحرب بل في رفع كل أشكال الظلم.

1 للتوسع في علاقة السياسة بالوعي، العودة الى مقالة المؤلفة المعنونة: السياسة والغريزة في عصر الإنسان الأدنى، أفكار متمردة في الثقافة والسياسة والفكر، دار شمس، القاهرة، مصر، 2008



نحو عولمة بديلة عولمة مملكة الإنسان، عولمة السلام

يقول جان ماري مولر: "ليست العولمة في حد ذاتها هي التي ينبغي اتهمها أو إدانتها. لذا فإن من الأهمية بمكان ألا تقتصر حركة مقاومة مساوئ العولمة على مجرد رفضها: إذ لا بدّ هنا من طرح عولمة "بديلة" ¹alter-mondialisation

أمام انهيار أسطورة العولمة الاقتصادية المطلقة كيف يمكن رؤية الاقتصاد والسياسة من خلال الإنسان؟ وكيف يمكن جعل

1 جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، مرجع سابق، ص 209، 211.

العولة فرصة حقيقية للانطلاق نحو تقريب الشعوب وحشد الطاقات من أجل سيادة الإنسان وحقوقه.

إن الممانعة المدنية تفترض إعلام "الساسة" علناً وبشكل مباشر، بضرورة تبني منظومة اقتصادية تُحَقِّق الحد الأدنى من العدالة الاجتماعية، منظومة يكون الإنسان محورها وهدفها تحقيق حقوقه، والعمل بتكاتف كي لا يحتكر البعض منافع الثروة، وان تُوزع المغام بشكل عادل دون ان يُلغى مبدأ الملكية، وذلك لا يتحقق إلا من خلال إقامة منظومة سياسية إنسانية، قوامها الديمقراطية وترتكز على مبادئ أخلاقية لا تغفل عمل الروح، واعطاء معنى جديد مغاير لذلك السائد القائم على "المادة فقط".

إذن نتطلع الى عولمة القيم الإنسانية و عولمة السلام، القائمة على احترام الإنسان وحرية وحقوقه، واحترام الطبيعة والحفاظ على البيئة، وتحقيق السلام، وادراج الأخلاق في العمل السياسي والاقتصادي، رأس مالها الإنسان الحر...فلسفتها تقوم على كونية الإنسان... وهدفها تقريب شعوب العالم وتلاحم انظمته وتساندها وتناغم ثقافته وتحقيق أكبر مشاركة مُمكنة بين شعوب الأرض.

وتظهر مقومات العولة الإنسانية البديلة في نقاط يتأسس
صوغ فلسفتها حول أن على الاقتصاد والسياسة ان يكونا في
خدمة الإنسان لا العكس.

أنسنة السياسة:

- تعد السياسة وسيلة جيدة لتحقيق غاية نبيلة، وهي إدارة الشؤون المدنية على وجه جيد عادل ينسجم وقبل كل شيء مع القيم الوجودية للإنسان.
- يكون العمل السياسي عمل خدمة وحسب، وتكون الفئة المشتغلة في السياسة هي الأكثر حكمة ووعياً وخبرة وخدمة، فالساسيون بهذه الصفة نخبة من الحكماء الشديدي التواضع والأكثر رحمة وإخلاصاً للمبادئ الوجودية والإنسانية، وبالتالي فإن دورهم يتجسد بمواكبة فعالية تطور المجتمع ومساعدته لبلوغ رقيه الإنساني، عبر إرساء المفاهيم الاخلاقية الايجابية بروحية عادلة تتجاوز كل إكراه وعنف.
- يهدف عمل الادارة السياسية الى الحفاظ على كرامة الإنسان بالدرجة الأولى وحقوقه الإنسانية والكونية أيضاً، بما فيها حقه في التنقل الجغرافي بين الدول وحقه في الانتماء لأكثر

من وطن، كونه إنسان كوكبي، وان انتماءه للأرض يتجاوز كل الحدود "الوضعية" المرسومة والتقسيمات الجغرافية والجيوسياسية المزعومة؛ وبما ان الإنسان يمثل كلية الوجود فإن الاعتداء على كرامته وكرامة البيئة خط أحمر.

- الفيلوديموقراطية: وهي ديموقراطية متطورة تهدف الى غاية إنسانية وأخلاقية نبيلة تتوجها المحبة والإخلاص والعمل الرصين¹، وذلك عبر إضفاء الأخلاقيات والوجدانيات على روح السياسية، ومساعدة أكبر قدر من أفراد المجتمع على المشاركة، لذلك فهي ليست ديموقراطية أكثرية بل ديموقراطية مشاركة حقيقية ترى في كل إنسان اهل للتكريم.
- الحرية مبدأ إنساني محوري، والأولوية تكون لتحرير البشر مادياً ونفسياً ليكونوا على تناغم مع الكون ومع الطبيعة ومع أنفسهم ومع مجتمعاتهم، لأن الذهنية المثقلة بالاحكام المسبقة عن الأمور عصية على الحرية الحقة.
- السلطة في هذه الحالة متعددة الأبعاد والمستويات، فلامكان للقائد الواحد أو الزعيم الفرد في ميدان السياسة الإنساني.

1 ندره اليازجي، الاشتراكية ومفهوم العدالة، دار الغريال، دمشق سوريا، 1963.

- الايمان بوجوب عدم التقيد "الحرفي" بمنهاج عمل "واحد" في السياسة، بل الانفتاح والحكمة هما مفتاح العمل الهادف الى مساعدة افراد المجتمع للعيش بأمان وتحقيق سلامهم مع أنفسهم ومن ثم اشقائهم في الإنسانية.

أنسنة الاقتصاد:

- إدارة الموارد الطبيعية والبشرية بشكل جيد حسن.
- التوزيع العادل للثروات والانتاج المخطط، لأن الرفاه الحقيقي العادل لا يتحقق بجرمان الآخرين منه. وتحقيق العدالة النسبية من خلال توزيع عادل للمكاسب الاقتصادية، والعدالة هنا لا تعني "التساوي" بطبيعة الحال
- حماية الموارد الطبيعية والبيئية، فمسؤولية حماية كوكبنا الأرضي مسؤولية وجودية لا تهاون فيها أبداً، وعليه فإنه يتوجب علينا إعادة النظر في استهلاكنا المحموم للوقود وفي عمل مصانعنا الملوثة للبيئة، والبحث بجدية عن مصادر نظيفة للطاقة وانشاء المصانع الخضراء واحياء الحرف اليدوية البسيطة مجددا.
- حماية الموارد البيولوجية وعدم العبث بموروثات جنسنا الجينية وجنس المخلوقات الأخرى، لأن أي خلل جيني يصيب الكائنات الأخرى ينعكس حتما على البشر.

- الزراعة ينبغي ان تتم بشكل عضوي طبيعي بعيد عن اي تلاعب بيئي أو تعديل وراثي أو محفز كيميائي، وترك الطبيعة وشأنها كي تحقق توازنها البيئي بانسجام مع الكون، كما ان العناية بالحيوان ينبغي ان تركز على معايير اخلاقية صارمة فمن غير المقبول التلاعب بغذائها ودورة حياتها الطبيعية بهدف تحقيق الأرباح المادية تحت أي ذريعة كانت.
- العمل الدؤوب على تحقيق العدالة الاقتصادية عن طريق تربية الإنسان واقناعه بلا جدوى أنانيته وضرورة توضيحته من أجل منفعة كل الناس وكل الكائنات. وان احترامه للطبيعة وللإنسان يقتضي ألا يكون "مستهلكاً" فظاً للنعمة التي ينبغي على كل البشر ان ينعموا بها بحكم آدميهم، وان ثرائه لا يكون بتجويع اشقاء له في الأدمية وان رفاهيته لا تتحقق بحرق البيئة بدخان مصانعه وأدواته.
- توعية البشر لاستخدام الوسائل الخضراء "الصادقة للبيئة" في معاشهم وتبني فلسفة ان الكون جزء منا يجب العناية به.¹

1 على سبيل المثال: ان انتاج كيلو غراماً واحداً من لحم البقر يحتاج الى سبعة كيلوغرامات من الحبوب التي تحتاج الى سبعة آلاف لتر ملة لتنمو! فإن توفير قطعة لحم واحدة من شأنه ان يوفر كمية ملة للشرب تكفي لألف شخص.

- موازنة الإنتاج مع الاستهلاك، مع النظر إلى الاحتياجات الحقيقية للأفراد والجماعات.
- تبني فلسفة قوامها ان المال موجود ليكون في الأيدي للتداول لا في الخزائن والبنوك، وان العمل كقيمة أهم من المال.
- تشجيع المشاريع الصغيرة واحياء الحرف اليدوية أكثر من التركيز على اطلاق الشركات العملاقة.

أنسنة الاعلام

إن للاعلام دور تربوي وإنساني عظيم لذلك فإن الرؤية الإنسانية لعمل السياسة والاقتصاد لا يكتمل الا بتضافر شتى الجهود، واننا نتطلع الى اعلام يتمحور حول ترجمة القيم الإنسانية عبر الكلمة والصورة من خلال ارساء قيم التسامح والمحبة والانفتاح وتعريف افراد المجتمع على عمل بيئتنا الطبيعية ومنظومتنا الكونية وابداعات المكون البديع ومساعدة الافراد على التمسك بالقيم النبيلة والذوق الرفيع والفن الراقي فتكون الشاشة كمتنفس تأملي يريح روح الإنسان ويرقى به الى مصاف الوجود الكلي.

أنسنة التربية

التربية المتكاملة الدائمة هي التي تهتم بالإنسان بكليته، وهي تلك المنفتحة على الكائن البشري بمكوناته النفسية والجسدية والروحية والعقلية، بحيث تكون المؤسسات التعليمية مكاناً لتكامل خبرة السّلام داخل الكينونة الإنسانية عبر دراسة "الكليّ" في حوار بين العلم والفن والتقنية والحدس، وغط ميمز لاطلاق إنسيّة الإنسان، *فالفكر المجزأ لا يتوافق مع السّلام لأن الاشرطات التي يزج بها اطفال مدارس اليوم تدفع بهم نحو الصراع الدائم والعنف، لذلك يُفترض ان تُطرح العلوم بشكل يوازن بين التحليل والمشاعر والجسد.*

أنسنة العقائد:

وذلك من خلال الوقوف بانفتاح إزاء كل الأديان والأساطير والميتولوجيا والحكمة القديمة واحترامها، وان لكل إنسان حرية اختيار ما يشاء من الأديان واعتناقها و له الحق في التعبير والتفكير، على ان لا يؤدي ذلك الى إطلاق الأحكام على الآخرين او اعتماد المعتقد الديني كمسوغ للاعتداء على إنسانية الغير، او تسويغ العنف تحت اي ذريعة لاهوتية، *إذ ما من مكان*

ثقافي او ديني متميز يمكن من خلاله اطلاق الحكم على الثقافات والديانات الأخرى.

لذلك ينبغي التخلي عن كلّ الايديولوجيات وتنقية "العقائد" من كل جمود، مما يحقق احتراماً متبادلاً بين كل الفئات والشعوب والأديان.

هو موقف يسمح بالتعرّف على خصوصيات وتقدير جميع المنقولات الدينية وغير الدينية، بما يحقق أفضل إدراك للبنى الأساسية المشتركة للإنسانية.

إنه موقف ليس ديني أو لاديني، بل هو خبرة فطرية تعترف بحضور القدسي عبر حضورنا في الكون، إنه فضاء الوحدة المنفتح في وجوه التعددية، المتمثل بضرورة التوازن بين داخلية الإنسان وسرانيته "الجوانية" وبين خارجيته "البرانية"، لتحقيق الكينونة الكامنة فيه، مما يتيح الحوار بين كل البشر على اختلاف ألوانهم وصورهم ومللهم ونحلهم دون ان يجانسهم او يحتزلهم.

العولمة الإيجابية والنضال اللاعنفي

ان اللاعنف كمفهوم فلسفي عميق يطال كافة مناحي المعاش البشري انه سرورة دائمة متطورة ورؤية مفتوحة على الوجود، إنها فلسفة ونظام حياة إنسان يتناغم مع كل كائنات الكون من الذرة وحتى المجرة، فاللاعنف ليس مجرد اعتصام او احتجاج انه مفهوم يقلب نمط حياتنا بالاستهلاكي بالكامل ليضعنا امام إنسانيتنا.

ولعل أحسن من وصف علاقة اللاعنف بمناحي الحياة واصفاً العولمة الايجابية الأستاذ أديب خوري في إحدى محاضراته قائلاً¹:

(العولمة الإيجابية هي تلك الحقيقة العميقة... رباطنا العضوي، كوننا خلايا كثيرة في جسد واحد، وإن كان هذا الجسد لا يزال جنيناً... إنَّ النضال السلمي من أجل قضية هنا وأخرى

1 أديب خوري، اللاعنف والعولمة، محاضرة أُلقيت يوم السبت 11 تموز 2009 خلال ورشة عمل جاءت بعنوان "حول اللاعنف وضبط النفس"، مرميتا، سوريا.

هناك هو حقٌّ وواجب.... أظنّ فوق ذلك أنّ هذا النضال لا يقتصر ولا يبدأ ولا يُحصَر بمظاهرةٍ أو مقالٍ أو اعتصامٍ أو محاضرةٍ أو رسالةٍ احتجاجٍ أو بيانٍ إعلاميٍّ، فكلُّ هذا، على أهمّيّته يأخذ وقتاً محدّداً وينتهي حتّى ولو أعقبه نشاطٌ يماثله. أقول إنّ النضال اللاعنفيّ هو نضالٌ على مستوى الكوكب، وهو لهذا السبب نضالٌ على مستوى النفس، وأودّ هنا أن أطرح بضعة أمثلة:

يعتصم دعاة سلامٍ صادقون في مدينةٍ ما من مدن العالم أمام مبنى شركةٍ ثبت أنّها تعيد تغليب أغذيةٍ فاتت ملةٌ صلاحيّتها. ينتهي الاعتصام ويشعر الشبان بالجوع، يدخلون مطعمًا قريبًا جاهلين أنّ عائديّته ترجع للمجموعة نفسها التي تملك تلك الشركة.

يلقي مدافعٌ عن حقوق المرأة محاضرةً عن قصور القوانين وإجحافها، لكنّ أكثر ما يلفت السامعين في محاضرته هو بزّته الأنيقة مع ربطة عنقٍ حريريّةٍ مصنوعةٍ في ورشات شركةٍ عالميّةٍ كبرى تدور عجلة مصانعها في بعض أفقر بلدان العالم حيث تعمل ساعاتٍ طويلاتٍ عاملاتٌ في ظروفٍ من أسوأ ما يكون ومقابل أجرٍ لا يسدّ الرّمق.

تعمل منظّمة ناشطة في الدفاع عن البيئة وحمايتها على تأسيس محمّية. عملٌ يُحترَم. لكنّ هذه المنظّمة تلجأ، في حاجتها لتمويل هذا المشروع، إلى شركة نفطٍ تساعدُها مقابل شرطٍ بسيط: أن يوضع اسم الشركة مرّاتٍ عديدة على سور المحمّية وخصوصاً على بابها الرئيسي. يجهل أصحاب النية السليمة أنّ هذه الشركة العالميّة تلوّث البيئة بشكلٍ خطيرٍ وعنيفٍ في أماكن أخرى كثيرة.

كلّ من الاحتجاج على بيع أغذيةٍ فاسدة والحديث عن حقوق المرأة وتأسيس محمّية طبيعيّة، أعمالٌ لا عنفيّة بشكلٍ أو بآخر، كلّ هذا مهمٌّ جدّاً، لكنّه قد لا يكون الأهمّ.

يبدأ نضالي اللاعنفيّ، أو هكذا يُفترض، منذ الصّباح: بأيّ نوعٍ من الصّابون أغسل وجهي؟! كم من الماء أصرف في غسيل يدي؟! (إذا علمنا أنّ الصعوبات الكبرى التي تواجهها الكثير من الدول، من الآن فصاعداً، هي صعوبات توفير مياه الشرب والرّي، وإذا فهمنا أنّ ذلك يعني إمكانية نشوب حروبٍ صغيرة وكبيرة من أجل موارد المياه، فإنّ هذا يدلّنا على أنّ توفير الماء والاقتصاد باستعماله هو عملٌ لا عنفيّ ممتاز لأنّه أيضاً عملٌ لا عنفيّ استباقيّ!)

ما الذي أتناوله من طعام ومن أين أتسوّقه؟! ما هي وسيلة
المواصلات التي أستقلّها إلى عملي، بل كيف أختار أصلاً هذا
العمل ولماذا أستمّر به؟! إلى أيّة مدرسة أوصل ابنتي وأنا في
طريقي إلى العمل، وهل أوصلها بنفسني أو أترك ذلك لوسيلة
النقل الجماعيّة الخاصّة بالمدرسة نفسها إن وُجدت؟!..... يمكنني أن
أطرح ألف سؤال، تنتهي بالوسادة التي أسند إليها رأسي في آخر
النهار، وسؤال إضافيّ صعب: ألا يزال لي ما أسند له رأسي؟!...
ثمّ تتكرّر الأسئلة نفسها في يومٍ آخر... وتضاف لها أسئلة
جديدة... هل ينتهي نضالي اللاعنفيّ مع عطلة نهاية الأسبوع،
أو مع العطلة السنويّة: أين أذهب في يوم راحتي وما الذي أفعله
فيه؟! أين أسافر إن كان لي أن أسافر في سباحة مرّة كلّ عام
أو كلّ عدّة أعوام.¹

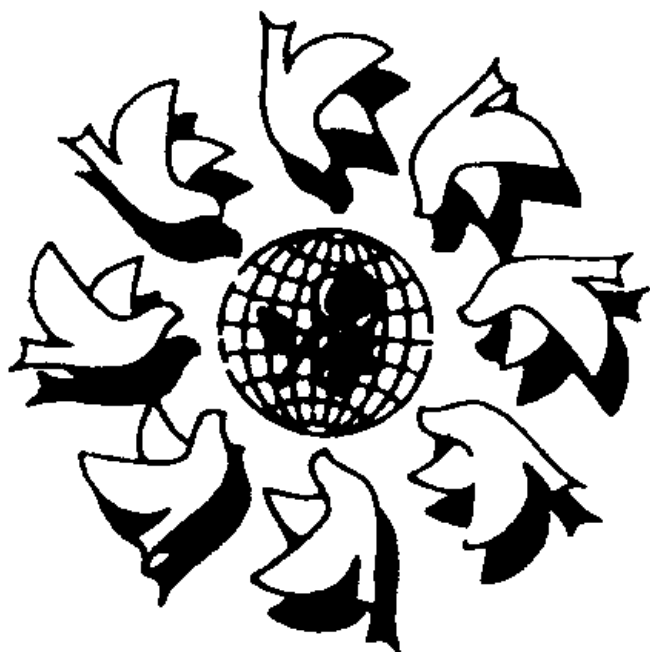
1 الكلام الوارد بين هلالين للاستاذ أديب خوري مقتبس عن جزء من محاضراته التي أشرنا إليها في المرجع السابق نفسه.

خاطرة

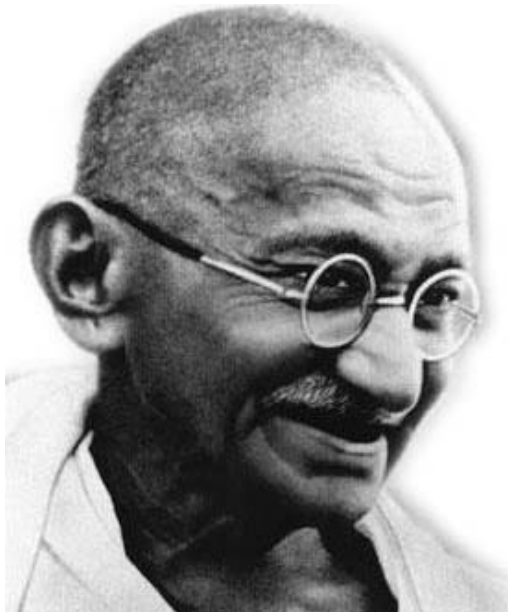
- صراع الساسة المجنون و تهافت السلطة الموتورة يُشوّه
إبداعات المجتمع وينتهك كرامة الإنسان...
- صراخ الشاشة المتواصل وضجيج الأخبار المحمومة يشوّش
براءة الأطفال....
- لهيب المصانع وهدير المحركات يسرطن رئة الطبيعة ويحرق
رونق الأشجار....
- والمحبة تنتظر منّا جواباً على ما يبعث إلينا من سلام..
- فهل سنجد في أنفسنا جمال الكون لا في تملّق صور الدعاية
والاعلام؟
- وهل سنلامس الطمأنينة في أرواحنا لا في استجداء الأحلام؟
- إن لفي نمو الورد فوق الدمار برهاناً على أن صمت
الأشجار انتصار على مدافع الركّام...
- هبنا نصغي الى أغنية الوجود ونكف عن ضوضاء الكلام!



على خطى السَّلام



من نماذج النُّضال الرُّوحي اللاعنفي



مفهوم اللاعنّف في فكر المهاتما غاندي

"الرّد على وَحشِيّة بوحشِيّة إقرارٌ بإفلاسنا الأخلاقي
والفكري، ويمكن لهذا أن يكون بداية حلقة مفرغة"

المهاتما غاندي¹

لا يمكن للباحث في قضايا اللاعنّف أن يبلور طروحاته
دون الوقوف عند تجربة المهاتما موهنداس. ك. غاندي والاستفادة
منها، وإن كانت الظروف الاقليمية والسياسية والزمانية والمكانية

1 هاريجان، الأول من يونيو حزيران 1947، ص 174

تختلف باختلاف مستويات الواقع والظروف المحيطة بها، إلا أن المبادئ الكونية الجامعة للحضارة الإنسانية ومشاركات الحكمة الخالدة تتفق بما لا يدع مجالاً للشك على أن علاقة الإنسان بالإنسان، والإنسان بالكون، ينبغي أن تكون علاقة تكاملية لتحقيق المحبة والسلام، وتتمحور حول أهمية وعي الكائن الإنساني لعظمة وجوده الذي لا يكتمل إلا باللاعنف واللاإكراه.

وفي زمننا نجد من يحتج معترضاً على المقاومة اللاعنفية مشيراً إلى أن ظروف الهند الاستثنائية في مقاومتها لبريطانيا هي التي سمحت بنجاحها، وأنه لا يمكن الاستفادة من هذه التجربة في عصر العولمة؛ غير أننا نجد أسس "الغاندية" تكمن في قلب الكائنات وجوهر كل الأديان، بل إن من فوائد "فتوحات العولمة" الفكرية¹ زيادة فرص اللاعنف ونجاحه فيما يتعدى الحدود القومية والدينية، إضافة إلى أن العولمة لعبت دوراً إيجابياً لا يستهان به، في الحد من عنف الأنظمة الحاكمة المستبدّة، وتحقيق مساحة أوسع من الديمقراطية وحرية الفضاء السيبري

1 كنت قد انتقدت في مقال سابق العولمة بوصفها الاستهلاكي المادي الجشع، بيد أن العولمة بمفهومها الإنساني الإيجابي مطلوبة: منها عولمة السلام وعولمة اللاعنف وعولمة القيم الإنسانية المشتركة، وكلها أمور إيجابية ومطلوبة تناولتها تحت عنوان العولمة البديلة.

والاعلامي، مما يفسح آفاقاً رحبة لإحداث صحوة لاعنفية ضدّ ما يحصل من جرائم يومية بحقّ البشر عبر التطهير العرقي والاضطهاد وتعنّت الدول المسيطرة؛ أو جرائم بيئية بحق الكائنات الأخرى و الطبيعة وتخريب الغلاف الجوي للأرض.

وليس المطلوب من عرض رؤية غاندي إسقاط التجربة "الغاندية" كما هي وتطبيقها هنا وهناك، فطرح فكر الرجل لا ينحى بحال من الأحوال إلى جعله كراسية وصاياه، أو دستور يجب تطبيقه "فلتتخطم الغاندية إن أخطأت. لا يمكن تخطيم الحقيقة. فإذا أصبحت الغاندية إسماً آخر للطائفية فإنها تستحق أن تغدو جديرة بالتدمير"¹

بيد أنّ المثال اللاعنفي الذي اتبعه غاندي جدير بالتوقف عنده والاستفادة منه، كونه حول الخبرة الروحية والمفاهيم الفرديّة إلى فعلٍ حضاريٍّ، ساهم في فتح كوةٍ في جدار العنف وساهم في تحرر شبه القارة الهندية.

ويمكن اليوم استلهام التجارب المشتركة في تراث البشرية، التي تؤكد على أنّ العدالة والمحبة لا تتحققان إلا باللاعنف، من أجل حماية الإنسانية، ولكلّ شعبٍ تراثه الروحي المشرق الذي

1 غاندي، هاريجان، اواسط يوليو 1939، ص197

يشع سلاماً فطرياً، ويمكن له أن يُبلور رؤيته الخاصة للاعنف بحسب ظروفه وإمكاناته وجذوره الفكرية، أسوة بما فعل مُستيري كلّ العصور من سقراط والناصري و دانيال والحلاج وغاندي ومحيي الدين ابن عربي وماهافير وناناك و طاغور وتولستوي... وغيرهم، ممن آمنوا أنّ التغيير الفعلي يبدأ بتحقيق الإنسانية والسلام و تربية النفس قبل جهاد البشر، وأنّ نصرته الحق لا تكون إلا بالحقّ وبوسائل عادلة.

فمن " واجب الآخذين باللاعنف نهج حياة، بدون أن يتزحزحوا عن موقفهم الداخلي الأساسي، أن يبتكروا أساليب عمل جديدة، وأن تتفتق عبقرية الحقيقة الكامنة في مذهبهم عن تجليات بكر.¹"

يقول غاندي " اللاعنف هو شريعة الجنس البشري. وهو أكبر وأسمى بما لا يقاس من شريعة القوة الغاشمة. وهو... لا يليق بأولئك الذين يملكون إيماناً حياً بألوهة الحبّة... لذلك، عندما نقبل باللاعنف كقانون للحياة، من الواجب أن يشمل (هذا القانون) الكائن بكلّيته، لا أن يكون مجرد أفعالا منعزلة.

1 ديمتري أفيريونس، غاندي بين القداسة والسياسة، في محاضرة ألقاها خلال ورشة عمل حول: اللاعنف وضبط النفس، المنعقدة في مرميتا 10 و12 تموز يوليو 2009، سوريا.

ومن الخطأ الكبير الاعتقاد بأن القانون يصحّ على الأفراد، ولا يصح على الجنس البشري ككل.¹

والقانون الذي يعنيه غاندي ليس "القانون" الذي وضعه الإنسان، بل القانون الذي صنّعه الطبيعة للإنسان.

فالتدريب على ممارسة اللاعنّف تبدأ من العلاقات الشخصية مع الآخرين وهو ليس تدريباً خارجياً أو جسدياً، بل هو الإرادة بعدم ممارسة العنف والقتل حتّى من باب المعاملة بالمثل وامتلاك الجرأة في مواجهة التحديات بما فيها الموت دون أي رغبة في الانتقام.

"وما من شجاعة أكبر من رفض الركوع أمام أي سلطة أرضية، أيّا كانت قوتها، وهذا ليس ممكناً من دون القوّة الجبّارة للروح والإيمان المطلق، بأن الروح وحدها خالدة، وليس أي شيء آخر"²

وبحسب رؤية غاندي فإن تطبيق اللاعنّف يتطلب عاملين:
العامل الأول: وجود إنسان مؤمن باللاعنف سبيل حياة، يحمل بذرة فطرية إنسانية تتجاوز الدكاكين الروحية والتقسيمات

1 المهاتما غاندي، هاريجان، الخامس من سبتمبر 1936، ص 236.

2 المهاتما غاندي، هاريجان، أواسط أكتوبر 1938، ص 290 - 291.

القومية والآراء التسلطية، والأيديولوجيات المتصلبة، والنظريات الانعزالية، ويتمتع بالقوة والإرادة على زرع بزور التسامح في قلب الأخوة الإنسانية.

العامل الثاني: وجود مبادئ أخلاقية قابلة للتطبيق في سياق التربية اللاعنفية قوامها المحبة لكل الخلائق و التضحية من أجل الإنسانية وتحمل المسؤولية تجاه الكون والكائنات.

بارقة:

يقول ديفيد مكرينولدز:

" يحتاج اللاعنف جزءاً إلى نساء ورجال ذوي شجاعة، لكنه مَقْضِيٌّ عليه بالفشل إذا اعتمد على الشجعان فقط.... لكن غايتنا هي حياة خيرة، غايتنا هي السعادة لا تمجيدها للمعاناة، نحن بحاجة الى حركة الناس العاديين الذين يستطيعون، أحياناً، أن يتصرفوا بطرق خارقة"¹

1 ديفيد مكرينولدز، فلسفة اللاعنف، ترجمة ديميتري أفيريونس، معابر للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط1، 2009. ص 80.



المنطلقات الأخلاقية و"الميتولوجية"

لمفهوم اللاعنّف عند غاندي¹

" اللاعنّف شريعةٌ جنسنا بينما العنف شريعة البهائم،
وشريعة الروح الغافية في قلب العنيف الذي لا يعرف سوى
قانون القوّة الجسديّة. لكن كرامة الإنسان تَتطلّب طاعة قانونٍ
أسمى هو قوّة الروح"²

-
- 1 لا يسعني الوقوف عند الخلفية الأخلاقية لغاندي دون العودة حتمًا الى كتابات الصديق الخير ديميتري أفيرينوس، الذي كرّس جلّ وقته لترجمة التراث الروحي الهندي ومراجعته وتدقيقه، علاوة على بلورة اسس العمل اللاعنفي، لذلك فأني سأورد جزءا من محاضراته في هذا المقال، التي حرصت على عدم التدخل في صياغتها عمداً كي لا أشوّه المعنى.
 - 2 المهاتما غاندي: الهند الفتاة، 11 أغسطس 1920، ص 2.

"منزلة غاندي تقوم أساساً على أنه حَقَّق معادلةً كانت ممكنة في التاريخ القديم وتكاد تصير متعذرة اليوم: الجمع بين مقاميّ الحكيم والمرشد الروحي، من ناحية، والرائي السياسي الملهم، من ناحية ثانية. الرائي هنا هو الإنسان القادر فعلاً على استشراف حركة المجتمع وحركة التاريخ، وفهم كيف يستطيع المساهمة في صنعها وفي توجيه الأحداث عن وعي، رغم ضآلة قدرة الإنسان ودوره في هذا الشيء، بمعنى آخر، مع حفاظه على تواضع كبير بالنسبة للفعل الذي يساهم فيه. كان غاندي نبياً اجتهد طوال حياته في بلوغ مثال الحقيقة واختباره، هذا المثال انكشف له عبر هندوسية منفتحة على الأديان والملل كافة. وكان لا يني يصرُّ أنه رجل خبرة روحية أصلاً، وليس رجل سياسة. كان يقول: "أنا مثالي عملي"، "أحاول أن أُدخل الدين في مجال السياسة". ليس المقصود بالدين الدين وفق مفهوم المؤسسة، بل الدين كخبرة حيّة، كاختبار روحي شخصي. لكنه، مع ذلك، كان رجل الأفعال بقدر ما كان رجل التأمل.

وهذه الشنوية التي تمكّن من اجتراف معجزة اختزالها إلى وحدة تستند إلى كشفين حاسمين من الكشوف التي رسمت مسار حياته الداخلية: الكشف الأول، هو "الله هو الحقيقة"؛ والكشف الثاني الأعرق: "الحقيقة هي الله". فالكشف الأول ينفي الحقيقة من العالم إلى المطلق، المتعالي على العالم، بينما الكشف الثاني يعيد الله إلى دروب الحياة اليومية، مثلما يمكن للمرء أن

يغرف من ماء الغانج المقدس براحتي يديه، أو أن يعرف بتذوقه حبة رز واحدة فيما إذا كان الرز كله ناضجاً أم لا" هذا الكلام لـ (راماكرشنا)، وهو أحد حكماء الهندوس الكبار.

لقد جمع المهاتما في مذهبه الحياتي بين المنظورين الإسلامي، حيث يجمع الله بين صفتي الحق والعدل، والمسيحي، حيث يمكن للألوهة أن تتجسد في حياة إنسان فرد. فمن يصبح الحق والعدل قوامَ حياته يتأله؛ وعلى التبادل، من يتوق إلى التأله، مخلصاً للحكمة الأزلية، حيث "لا وجود إلا لله، ولا لشيء سواه" (غاندي، الهند الفتاة)، يجب أن يعمل بموجب الحق (العدل) وأن يسري في شرايينه شوقٌ لافح إلى إحقاقه.¹

أولاً: مفهوم الحقيقة ساتياغراها satyāgraha :

إذن تتمحور رؤية غاندي على أسس أخلاقية مستقلة من جذوره الهندوسية وإن كان "الدين" (الدهارما)² من وجهة نظره يسمو فوق كل المسميات: "دعوني أشرح لكم ما أعنيه بالدين: إنه قطعاً ليس الديانة الهندوسية التي أقدرها حتماً أكثر من باقي الديانات، بل الدين هو

1 ديميتري أفيرينوس، غاندي بين القداسة والسياسة، مرجع سابق.

2 الدهارما: الدين شريعة الكائن الأوحده.

ما يسمو فوق الهندوسية، فيغير طبيعة كل شخص، ويربطه بشكل لا ينفصم بالحقيقة التي يطهر المرء من خلالها. إنه العنصر الراسخ في الطبيعة البشرية التي لا تبخل بأي ثمن كي تبلغ كامل تحققها، ولا تدع للنفس مجالاً للراحة حتى تتعرف إلى نفسها، فتعرف خالقها، وتُقدّر حقيقة التطابق بين الخالق وبين الذات"¹

إن الاستعانة بقوة الحقيقة هي أصل منبثق من قوة الروح وساتياغراها² satyāgraha (ساتيا: "حقيقة" واغراها: "قبض")؛ وهذا المصطلح بالسنسكريتية يعني "الاستمسك بالحقيقة" وهو ما ترجمه غاندي بـ "القوة النابعة من الروح" إنها النداء الملح للحقيقة في خدمة الأرض.

إن اللاعنف الكامن في قلب الحقيقة من شأنه أن يطلق طاقة روحية ترغم "الخصم" على مراجعة ذاته ومساءلة نفسه، إذ ليس ثمة مطلب بإلحاق الهزيمة به ولا كراهية تجاهه، إنها استراتيجية تستهدف قلب الإنسان عبر الوثوق بالضمير الموجود عنده قطعاً بوصفه إنساناً، مما يحقق الهدف بتحقيق العدالة وقهر الشر الذي هو أحد ضحاياه أيضاً.

1 الهند الفتنة، في 12 مايو 1920 ص 2.

2 المهاتما غاندي، قصة تجاربي مع الحقيقة، ترجمة منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 1973.

المهاتما غاندي، كتابات وأقوال، مرجع سابق ص 156.

ان الشخص اللاعنفي (الساتياغراهي) ينتهج نهجاً وجودياً ويمارس ضرباً من ضروب الحياة الروحية المتبلورة بشكل عملي، فهو ليس إذاًعائاً أو جُبناً، إنها القوة الآتية من الإرادة التي لا تُقهر: *الإرادة بعلم القتل ومواجهة الموت دون الرغبة في الانتقام.* فالحقيقة بنظر غاندي "لم تكن مطلقاً مجرداً مبهمًا، بل مبدأ ينبغي اكتشافه اختبارياً في كل حالة على حدة. الحقيقة، في خبرته، هي الغاية واللاعنف هو وسيلتها. من هنا فقد اهتم بصفة خاصة بالوسائل المستعملة لبلوغ الغاية، مؤكداً أن الوسائل تصنع الغاية بالضرورة. لذا يتخذ اللاعنف عدة أساليب لتحقيق أغراضه، منها الصوم، والمقاطعة، والاعتصام، والعصيان المدني، والترحيب بالسجن إذ حصل، ورباطة الجأش أمام الموت"¹

ثانياً: مفهوم اللاأذى أو اللاعنف: آهيمسا ahimsā²

لعل عقيدة الآهيمسا من أبرز مساهمات الهندوسية في ثقافة الهند وأكثرها تميّزاً، لأنها أعطت خصوصية حضارية إنسانية لهذا البلد. وعلى الرغم من أن جذورها تعود الى أكثر من ثلاثة آلاف عام، إلا أنها مازالت حيّة وقادرة على الاستجابة

1 ديميتري أفيريونس، غاندي بين القداسة والسياسة، مرجع سابق.

2 آهيمسا: مبدأ اللاأذى أو كفّ الأذى، أو اللاعنف، وهو يشير الى تجلي المحبة في أشكال الحياة.

للمؤثرات والتحديات الى يومنا هذا، والسبب يعود الى أنها عقيدة قابلة للتطور حسب الظروف.

يقول غاندي: "الآهيمسا هي أساس البحث عن الحقيقة، ويزداد يقيني كل يوم من عدم جدوى هذا البحث ما لم تكن الآهيمسا قاعدته، لأنه إن كان صحيحاً جداً مقاومة ومهاجمة نظام ما، فإن مقاومة أو مهاجمة صاحبه يساوي مقاومة الذات ومهاجمتها وجميعنا أبناء نفس الخالق، ما يعني أن القوى الإلهية التي في داخلنا لا متناهية، والاستخفاف بكائن بشري واحد يعادل الاستخفاف بهذه القوى الإلهية، ويعني بالتالي الإساءة ليس فقط إلى هذا الكائن بل إلى العالم بأسره"¹

ومفهوم آهيمسا ahimsā (أ: أداة نفي، وهيمسا: أذى) عند غاندي، هو أساس قانون الحياة كونه يحمي الوجود عبر كفّ الأذى عن كلّ الكائنات ونشر الرحمة والمحبة، بل إنّ حماية البيئة الطبيعية والعناية بالحيوان وسائر مكونات الكون تدخل في هذا المفهوم أيضاً، إنها وحدة مسؤولية الكائنات الإنسانية تجاه الكائنات الأخرى والكون. وحده اللاعنّف، بنظر غاندي، قادر على استعادة الحقيقة. وقد كتب بهذا الصدد: "ساتياغراها ليس العصيان المدني حصراً، بل سعي هادئ لا يقاوم إلى الحقيقة."

1 المهاتما غاندي، قصة تجاربي مع الحقيقة، مرجع سابق، ص 203.

والحقيقة، في خبرته، هي الغاية واللاعنف هو وسيلتها. من هنا فقد اهتم بصفة خاصة بالوسائل المستعملة لبلوغ الغاية، مؤكداً أن الوسائل تصنع الغاية بالضرورة.

ثالثاً: مفهوم اللاتملك أباريغراها:

"الإنسان مملوك ما يملك. فإن شئتم ألا تكونوا مملوكين فاعتقوا ما في قبضتكم لتعتقوا من قبضته"¹

إن مفهوم اللاتملك من أكثر الأمور محوريةً في بنية اللاعنْف كونه يعني نكراناً تاماً وكاملاً للذات و استخدام الجسد في الخدمة، إنها حالة ذهنية تؤمن للإنسان الراحة والسعادة عبر التحرر التام من الخوف، وتعني أن يكون الإنسان مستعداً لتقبل الموت والتكر لجسده من أجل خدمة الإنسانية، لذلك فإن مفهوم اللاتملك (أباريغراها) يرتبط ارتباطاً وثيقاً بفلسفة "الياجنا" (التضحية).

ويرى غاندي ان "الحق في الحياة مشتق من إنكار الذات. حيث لا يقال (عندما يفعل الجميع ما عليهم سأفعل ما عليّ) بل يُقال (لا تهتم بما يفعله الآخرون، بل افعل انت ما عليك ودع له الباقي)"²

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، 94.

2 هاريجان، السادس من مارس 1937، ص 27.

ويتساءل غاندي: "لماذا علينا جميعاً اقتناء الممتلكات؟ لماذا لا يجب علينا، جميعنا، وبعد فترة من الزمن، تجريد أنفسنا من كل الممتلكات؟"¹ فالله لم يخلق أكثر مما نحتاج إليه لتلبية احتياجاتنا الآنية، لذلك فحين يتملك الفرد أكثر مما يحتاج إليه يفقر جيرانه!

"لهذا تُعلمنا الأوبانيشاد² أن نتخلّى عن تعلقنا بالأشياء التي نستمتع بها" ما يعني، أنه يجب علينا التعامل معها ليس كمالكين لها كمؤتمنين عليها.³

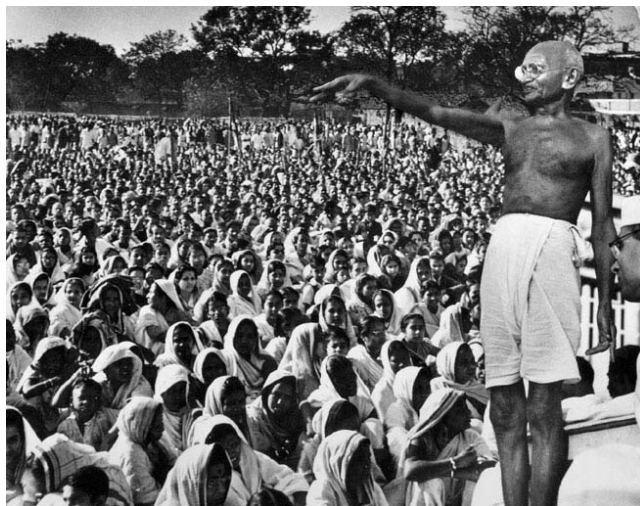
فاللاتملك يحرر الإنسان الخوف من الخسارة إذ لا نملك شيئاً كي نخسره، "وهكذا نكتشف أنّ كلّ مخاوفنا هي من صنع مخيلاتنا، ما يعني أن الخوف لن يبقى له مكان في قلوبنا حين نلقي جانباً تمسّكنا بالثروة من أجل العائلة، من أجل الجسد... (استمتع بالأشياء الأرضية عبر تخليك عنها) وهو تعليم نبيل، في هذه الحالة، يصبح كل من الثروة والعائلة والجسد سواسية؛ وعلينا فقط تغيير سلوكنا تجاهها، لأنها جميعها ليست لنا بل لله، لأننا لا نملك شيئاً في هذا العالم"⁴.

1 الهند الفتاة، 3 يوليو 1924 ص 221.

2 الأوبانيشاد: موضوعات الفلسفة الهندية القديمة وقد نبعت منها منظومة فيدانتا الفلسفية.

3 المهااتما غاندي، كتابات وخطابات، ص 130.

4 المهااتما غاندي المرجع السابق نفسه.



المرتكزات العملية للاعنف عند غاندي (العصيان المدني - اللا تعاون)

إن شعباً مستعبداً وخائفاً، سواء استعبده الخوف أم قنع بهزيمته، هو الحليف الأمثل للحكم الذي يضطهده. فالرأي العام يتعلم الخضوع، وعندئذٍ يترسخ لديه الشعور بالقدرية. عند ذاك لا يكون التمرد معارضةً للنظام فحسب، بل احتجاج على صمت العامة السليبي.¹
فيال أولففيه

يرى الإنسان المعاصر نفسه اليوم مضطراً للبحث عن خلاص فيما المجتمعات برمتها، لاسيما في منطقتنا، تعاني من تراكم مزمن

1 أولففيه فيال، كلنا منشقون، مجلة خيارات لاعنفية، العدد 34، تموز 1979، ص 34.

للمظالم وتجذرهما العميق في بنية المجتمع وسلوكيات أفرادها، سواء كانت تلك المظالم سببها المباشر أنظمة داخلية رديئة ام كانت مظالم خارجية سببها اختل العسكري بقوة الحديد والنار وسفك الدماء، الأمر الذي دفع بالسواد الأعظم من أبناء تلك الشعوب نحو اليأس. **غير أن تجذّر المظالم هذا، يعود بالدرجة الأولى إلى قبول أعضاء المجتمع وتواطؤهم بل وقبولهم وتعاونهم مع مضطهديهم وقامعيهم.** إن عملية تقديم رؤية فكرية تحررية، تتمحور حول وقف

الهدف باسم "الزعيم" بالدرجة الأولى، ووقف عملية تمسيح الجوخ تجاه أي محتلّ تحت أي مسمى أو ذريعة، ومن ثم مواجهة التعاون الذي يمارسه معظم أعضاء المجتمع المتعاونين مع الظلم القائم، هو أمر يحتاج الى تصوّر فكري واستراتيجية عملية استطاع غاندي أن يقدمها لأبناء شعبه ممن ذاقوا الأمرين من أوضاع أقل ما يقال فيها انها مزرية ولا إنسانية.

وإذا كان من الأهمية بمكان اعتماد استراتيجية عملية سلوكية غير عنفية، فإننا ينبغي ألا ننسى عمل الروح والاخلاق في هذا السياق حيث أن فاعلية أي عمل لا تكتمل إلا عبر تحرر من بؤس النفوس وشقاء الأرواح، وانبثاق رؤية فكر تشع كالنور تؤمن بقيم العدالة وترتكز على كسر التعاون مع الظلم ومصادره ومكافحة شتى أنواعه، من خلال ممارسة ضغط اجتماعي وعلمي،

يُـرْغـم "المسؤولين" و"صناع القرار" و"اصحاب النفوذ" على الازعان والرضوخ لمطالب الناس العادلة، وذلك من خلال الرّفـض الحاسم لأية مشاركة في اي وظيفة تؤدي ممارستها الى الحفاظ على موقع الخصم المتمسك بجوره، كما سيرغم اي محتل على الرحيل عندما يعلم امكانية ايجاد من يتعاون معه وييسر له مهامه.

لقد أصـر بعض النقاد على إظهار أعمال غاندي وكأنها دعوة للرجوع إلى العقل والضمير وان الهدف منها احياء ضمائر الناس، واذا كان هذا الأمر من فلسفة الرجل، إلا ان الهدف المباشر من حملاته كان القضاء على أسس وبنى التعاون القائم بين الشعب الهندي والمحتل البريطاني وتقصير أمد الاحتلال ودفعه الى الرحيل لذلك فإنه يقول:

"إذا كانت الحكومة تعمل بشكل سيئ نكون مسؤولين عن سيئاتها عبر تعاوننا معها في جعل هذا الشر ممكناً. لذا يجب عليّ سحب دعمي لهذه الحكومة، ليس بدافع الانتقام، بل لكي لا أشارك في تحمّل مسؤولية الشر الذي تسببه"¹

1 جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، ترجمة ماري طوق ومراجعة أنطوان طوق ووليد صليبي، حركة حقوق الناس، بيروت 1999، فصل: مبادئ العصيان المدني وأسس، كما أورد رأي س. پانتر بريك في: غاندي في مواجهة مكيافلي، ص 125 وقد نُشر في مجلة معابر. راجع أيضاً: جان ماري مولر، اللاعنف: المبادئ الفلسفية، واستراتيجية العمل اللاعنفي، أوراق بحثية ألقاها خلال محاضراته في ورشة عمل المنعقدة تحت عنوان، اللاعنف الثقافة والتربية، مرميتا 20 - 22 حزيران 2008.

العصيان المدني بين العدالة و القانون

"الجهل وحده فَخُورٌ بِجَبَّةِ القَضَاءِ، و وَلَوْعَ بِشرح القانون
وإنزال العقوبات بالناس. والجهل يدين ذاته بذاته. وليس
أقسى من الجهل دَيَانًا للجهل"¹

إن عملية تقديم رؤية عن العدالة، تدفعنا الى تمييزها عن
القانون، إذ ليس القانون هو الذي يُملِي ما هو عادل، بل إنَّ
العدالة هي التي تفرض القانون، فحين يكون هناك تعارض
بينهما، علينا أن نختار العدالة وأن نعصي القوانين، لأن ما يجب
أن يُلهم الإنسان في سلوكه ليس ما هو "شرعي" بل
ما هو "مشروع".

وحول هذا السياق عدلَ غاندي في يناير 1920 النص الذي يحدد
أساليب عمل حزب المؤتمر الهندي حين كانت قوانين الحزب تؤكد في
وضوح أن عليه متابعة أهدافه "عبر وسائل قانونية"، أي شرعية،
استطاع غاندي أن يجعل حزب المؤتمر يصوّت لصالح قرار يقضي بأن

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق ص 101.

يعمل الحزب "وفق الوسائل المشروعة والسلمية كلها"¹، وهنا نضيف قائلين إن كل مجتمع يُفترض فيه أن يستعمل الوسائل التي تسمح له بحماية نفسه من الأفراد والجماعات الذين يجتهدون لزرع الفوضى ويهددون بذلك تماسك المجتمع واستقراره.

إن على كل مجتمع يتطلع إلى ضمان الحرية والعدالة المثلى لأفراده أن يطالب بحق، لا بل بواجب التنظيم، حتى تبقى هذه الحرية وهذه العدالة في مأمن من أذى أعدائها.

لذا يتخذ اللاعنف عدة أساليب لتحقيق أغراضه، منها الصوم، والمقاطعة، ورفض الضريبة، والاعتصام، والعصيان المدني، والعرقلة اللاعنفية، والترحيب بالسجن إذ حصل، ورباطة الجأش أمام الموت.

"اللاتعاون ليس حركة تبجح ولا هو تظاهر. إنه امتحان لإخلاصنا. على أتباعه أن يعقدوا العزم على التضحية بأنفسهم. إنه نداء موجه إلى صدقنا وإلى مقدرتنا على العمل من أجل الأمة وحركة تهدف إلى ترجمة الأفكار إلى أفعال... من يمارس اللاتعاون يسعى إلى لفت الانتباه وتقديم القدوة الحسنة، ليس بالعنف لكن بالتواضع الراغب عن الظهور. فهو يترك عمله المكين ينطق عن إيمانه، وقوته تكمن في ثقته بعدالة قضيته...."

1 المرجع السابق ص 132-133.

الكلام، خاصة إذا نطق عن غرور، يشي بنقص في الثقة.... لذا فإن التواضع هو مفتاح النجاح السريع."

هذا مردُّ دعوة غاندي أتباعه إلى الانتصار بالحجة، لأن من شأنها وحدها أن تعطي الساتياغراهي المنعة الروحية، والتواضع، والإقدام، والاستعداد للتضحية من أجل رفع الظلم، "الظلمة"، عن الذات وعن الخصم. صحيح أن غاندي يشترط لنجاح هذا النهج تمتُّع الخصم ببقية من ضمير وحرية تمكّنه في النهاية من فتح حوار موضوعي مع خصمه، لكنه لم يفقد لحظه إيمانه بأنه لا يوجد إنسان واحد على الأرض يعدم هذه الصفات تمامًا.¹

إن هدف العصيان المدني لا يقوم على إلغاء القوانين، بل على تطويرها، إعادة إصلاحها، بحيث تستطيع معها أن تكون منسجمةً أكثر مع متطلبات العدالة والحرية. يؤكد غاندي:

"العصيان المدني هو التأكيد على حقٍّ يجب أن يعطيه القانونُ لكنه يرفض إعطاءه"².

كما أن العصيان المدني ليس عملاً سرياً فعندما كان مارتن لوتر كنغ يخطط لتعطيل العمل العادي لمؤسسات المجتمع الأمريكي،

1 ديميتري أفيرينوس، غاندي بين القداسة والسياسة، مرجع السابق.

2 جان ماري مولر، قاموس اللاعنّف، ص 188 و 189.

من خلال حملات اللاتعاون، أوضح قائلاً: "هذه المقاطعة يجب ألا تكون سرّية أو في الخفاء. ليس ضرورياً أن نلبسها ثوبَ حرب المفاويز الرومانسي، بل يجب أن تكون علنيةً وأن تقوم بها جماهير كثيرة، دون أيّ لجوء إلى العنف. وإذا كانت السلطات تريد إفشالها وإغراق السجون بنا فإن معناها بذلك يصبح أوضح"¹

1 Martin Luther King: La seule révolution – Casterman – 1968. Page: 34

العصيان المدني

بين ديموقراطية التمثيل و ديموقراطية المشاركة

إن معظم الديموقراطيات تقوم على حق الاقتراع الذي يسمح للمواطنين بالأدلاء بأصواتهم لاختيار ممثليهم، هذا الأمر على الرغم من أنه يوصل أفراد يمثلون الشعب الى سلّة الحكم بيد أنه لا يسمح بالمشاركة الفعلية لهذا الشعب في قرارات الحكم؛ لذلك نجد أنفسنا أمام ديموقراطيات "التمثيل" لا ديموقراطيات "المشاركة"؛ وبالتالي نجد أن آليات المراقبة تكاد تنعدم في بعض النظم الديموقراطية أيضاً، لذلك فإن العصيان المدني سيكون من الأهمية بمكان لإبلاغ "السلطات" بالخلل الذي ترتكبه أو بالخطأ الذي يرتكبه الشخص الذي فاز بأصوات ناخبيه ثمّ حادّ عن خياراتهم.

فلو وافقت أكثرية الحكومة المنتخبة ديموقراطياً على شنّ حرب وعدوان على الآخرين، فهل هذا يعدّ مسوغاً ومشروعاً لقبول العنف عند مَنْ يُعارض شتى أنواع العنف؟

لقد أحزنني تأييد مايقارب 80% من الشعب الأميركي في استفتاء إبان الحرب على العراق؛ ولكن يجب أن لا ننسى فعالية أولئك الذين رفضوا التعاون مع حكومتهم و رفضوا الخدمة العسكرية عبر "اعتراض الضمير"، وهم الذين لم يجدوا اي مسوغ أخلاقي لخوض حرب قذرة. كما يجب ان لا نقلل من أهمية الذين احتجوا لأسابيع عديدة أمام البيت الأبيض وفي عواصم أوروبا حاملين شعارات تندد بالحرب والعنف.

إن المواطن من خلال التصويت والانتخاب، لا يمارس سلطته،

بل يوكلها. فماذا يحدث لو ارتكب المجازر من أوكلناه ان يحكم باسمنا؟
لقد أكد ميشيل دوبريه بعبارات واضحة بأن هناك مفهوماً معيناً للديموقراطية يقوم بالضبط على عدم مشاركة المواطنين وتخليهم عن تحمل مسؤولياتهم: "الديموقراطية ليست في إفساح المجال باستمرار أمام الأهواء والمشاعر الشعبية لمناقشة مسائل الدولة. المواطن العادي الديموقراطي حقاً يحكم في صمت على نظام بلاده. وحين يستشار في تواريخ محددة من أجل انتخاب نائب، مثلاً، يستطيع عند ذاك التعبير عن موافقته أو عدمها. وبعدئذٍ يعود عودة سليمة وعادية إلى اهتماماته الشخصية"¹

1 ميشيل دوبريه، هؤلاء الأمراء الذين يحكموننا، دفاثر المصالحة، أيار 1971.

لذلك ينبغي علينا إعادة النظر في مفاهيمنا، وفي مَنْ ننتخب وكيف، إذ من الأفضل ان يمارس الإنسان إرادته بحيث يُحد من الاستغلال الى الحد الأقصى؛ والخطورة كل الخطورة في أن الانتخابات الشكلية التي تحصل من شأنها أن تمنح "شرعية" مجرمي الحرب أو لسفاكي الدماء، فكثيرا من المجازر ترتكبها الجيوش بحق الأبرياء والشعوب منها براء؛ والعصيان المدني وقفة شجاعة بوجه الآلة العسكرية لتقول لأمراء الحرب: "لا تمارسوا العنف باسمنا"، "لا ترتكبوا الفظائع الدموية بذريعة حماية أمننا"...

لقد آلمتني كثيراً مشاهد ممارسات الجيش الأميركي لانتهاك حقوق الإنسان في العراق في سجن أبوغريب ومشاهد قتل الأطفال والمدنيين العزل كما آلمتني تماماً مشاهد قتل الأبرياء زمن صدام في حلبجة... ان الاعتداء على كرامة الإنسان بغض النظر عن الجهة التي تقف وراءه هو أمرٌ مدان والحرب كل حرب مرفوضة فلا وجود لحرب عادلة، ومن واجبنا أن ندين كل ممارسات العنف في كل الدول فقصف المدارس التابعة للأمم المتحدة وقتل الاطفال والنساء في غرة هو عملٌ إجرامي لا يوجد له أي مبرر له ولا يمكن لأي إنسان ينتمي لفصيلة البشر ان يقبل بوحشيته... والأمثلة في ذلك كثيرة، ومن حق الإنسان ان يعترض على "حكومته" التي تزج بأبنائه في حروب تحت ذريعة حماية الأمن او الحروب "العادلة"...

يقول غاندي: "إن الذين يؤمنون بعدالة قضيتهم بحاجة لأن يتمتعوا بصبر غير محدود. فوحدهم المخولين للقيام بعصيان مدني هم أولئك الذين يترفعون عن ارتكاب عصيان إجرامي، أو عن ممارسة العنف"¹

مسارات السلام وإرادة العدالة

"ان كلَّ حكمٍ يصدره إنسان على إنسان هو عبء جديد للحاكم وللحكوم عليه"² والسلام بوصفه إرادة العدالة لا يتحقق إلا بالعدالة، ونسجل هنا بعض النقاط منها:

- ان تحقيق العدالة ينبغي ان يتم بآليات عادلة لا عنفية، فالعدالة تقتضي شجاعة وممانعة مما يعني اتخاذ مواقف جريئة حيال ما هو غير عادل، و لو اصطدم المرء بقانون جائر فإن الشجاعة تقتضي "عصيان القانون" وبشكل سلمي عادل وهو ما يُكلور على شكل عصيان المدني.
- العدالة المقصودة هنا لا تعني "تطبيق الانظمة" ولا عدالة "قضاة المحاكم" بل تعني احترام الإنسان وحقوقه وهي ليست منّة من أحد بل هي اعتراف بإنسانية الإنسان.

1 المهاتما غاندي: الهند الفتاة، 28 أبريل نيسان 1920 ص 8.

2 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء مرجع سابق، ص 104

- الخروج عن المقارنة واحترام كينونة الافراد: عندما يعي المرء حقيقة النزاعات وينسحب من المقارنة المفضية اليها فإنه ينأى جانباً قائلاً لنفسه "إنني مميز في قدراتي لا أمثل الا كينونتي الإنسانية لست أرقى من أحد ولا ادنى من احد"، عندها سيستطيع ان يرصد ما يجري دون ان يكون طرفاً فيه.
 - القوة لا تصنع الحقوق إلا في شريعة الغاب، فالكائن الإنساني لا يحتاج الى سلاح ليثبت حقه، لذلك فإن الصراعات تختفي على مستوى الابداع الحدسي.
- يتحقق السلام إذن من خلال تحقيق كونية الافراد أولاً وذلك عبر مسارين اثنين:

مسار اجتماعي: وفي هذا النطاق يتحد الافراد لتحقيق إنسانيتهم "الاجتمعية" على صعيد المجتمع الواحد وذلك من خلال إحلال العدالة بحيث يتجاوز الفرد أنانيته ونزعتة بالسيطرة الى مستوى تحقيق السلام لصالح الجماعة.

المسار العالمي: بحيث تتضافر المجتمعات بثقافات المتنوعة لتحقيق السلام فيتجاوز كل مجتمع عن "أنويته التاريخية" ويتخلى عن ادانة الحضارات الاخرى والثقافات المغايرة له للوصول الى سلام عالمي يعكس الانسنة الكونية.

بارقة

"ما كان للإنسان إرادة في كل شيء إلا كان
لكل شيء إرادة في الإنسان (صدقوا أنه) ما طعن
رجلٌ رجلاً إلا من بعد أن شحذ القتيلُ مديته
القاتل وساعده في توجيه طعنته النجلاء"¹
عندما نريد العدل والسلام سيكون للعدل
والسلام فينا إرادة!

1 المرجع السابق نفسه ص 171.



مفهوم اللاعنّف في فكر جودت سعيد¹

يُطلّ المفكر اللاعنفي جودت سعيد إلى العالم ليقرأ الواقع الإنساني من خلفيته الروحية المرتكزة على أسس السلام الكوني من خلال قراءة وفهم للنصوص اللاهوتية الإسلامية، وكمؤمن بالعقل والوحي، فيقرأ الآيات في الكون و"الكتاب"، ويعيد التأويل ببصيرةٍ يتفتح من خلالها السمع والبصر على

1 هذا المبحث يستعرض فكر جودت سعيد في اللاعنّف من خلال قراءة "غير نقدية"، بالاستناد إلى كتبه الصادرة عن دار الفكر المعاصر، ومن محاضراته حول "اللاعنف" التي ألقاها ما بين عامي 2006 و2009 ومن مقابلات أجراها مع مجالات فكرية.

ما يحدث في العالم، فيتحرّك بين النص "المقدس" والواقع المعاش، وي طرح جدليّات الوحي والتاريخ، وعلاقات الألوهة والتكليف، فيرى أن القرآن يُسهّل عليه الدّخول إلى فهم اللاعنّف وتحقيق السلام، كون النص القرآني يُعطي قيمة كبيرة للتاريخ وعواقب الأحداث، ويؤكد أن هذا الكون يعيش حالة خلق وزيادة مستمرتين، وأن هذه الزيادة تتجه في سيرورة تطوريّة نحو الأفضل. كما أنه يعلن ان باب السماء قد أغلق وانتهى عصر النبوات ليبدأ عهد العقل الإنساني، حيث ينبغي على الأمرون بالقسط من الحكماء بلورة المبادئ العقلية وترجمتها من خلال الديموقراطية إلى سلام عالمي.

مشكلة العنف: قلة وعي وأفكار عرجاء¹

(إن الأفكار والمفكرين هما منشأ الأزمة، سواء فيما يقدمونه أو فيما لا يقدمونه للناس، ولذلك فإنه من التزوير الكبير أن يحضر المثقف في الأزمات كمنقذ. إن من الأجدر به

1 جودت سعيد، مذهب ابن آدم الأول، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1993 حيث تناول مشكلة العنف في العمل الإسلامي.

جودت سعيد، كن كابن آدم، الفصل السابع، مذهب الرشد: مذهب الأنبياء ابن آدم والأنبياء، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1997، البحث المعنون: النبي والقوة الفكرية.

أن يحضر كمتهم، أن يحضر للمراجعة واتّهام الذات والبحث الجذري، وإعادة النظر في المنطلقات. لكن وبكل أسف ومرارة، فإن دور المثقف إلى اليوم يعتريه تشوهان كبيران:

- إما أنه في وعيه وفهمه يسير خلف التاريخ، ومن ثم فإنّه لا يملك القدرة على رؤية راهنة للعالم، تستند على التاريخ وتستشرف المستقبل، تمكنه من تقديم مشورة نافعة ونصح سديد للساسة تساهم في تغيير التوجه العالمي المنتج للأزمات.
- أو أنه متواطئ صامت راض بما تؤمنه له الأوضاع السائدة من امتيازات أنانية تجعله يغض الطرف عما يحدث في العالم، وعندما يستشير الساسة يقدم لهم ما يريدون لا ما ينبغي عليهم فعله، بل إن هذا التواطؤ بحسب المفكر الفرنسي بيير بورديو هو العامل الأساس فيما نحن فيه من أوضاع.¹

1 جودت سعيد، دور الفاعلين الدينيين في بناء السلم والديمقراطية، في محاضرة ألقاها في بلجيكا في الثاني من كانون الأول ديسمبر 2009 خلال المؤتمر الثاني عن الاسلام - المسيحية وأوروبا 2009 - 2010

Jawdat Said Mohamed: The role of religious actors in peace-building " -
Islam , Christianity & Europe - 2nd series of seminars - 2009-2010

أما المسلمون فقد مسحوا الإسلام بمفهومه الكوني وشوَّهوا حقيقته باتخاذ العنف سبيلاً علماً أن الأنبياء والحكماء أجمعين أثبتوا، وبكل المعايير، (أن الحقَّ وحده من غير قوة، يستطيع أن يثبت ذاته، ويوجد كيانه، و أن المجتمع الرشاد يصنع بطريق الرشد الذي لا إكراه فيه، وإن المعركة الفكرية تقتصر على الوسائل الفكرية، ولكن المسلمين (وغير المسلمين) ضيعوا هذا التاريخ النظيف، ولا زال مسلمو زماننا منهزمون، والسبب هو أنَّهم يحملون أفكاراً عرجاء لا تستطيع أن تصمد في الصراع الفكري، فإن كنتم، يا مسلمون، تثقون بأفكاركم، فلماذا لا تسلكون السبيل الذي سلكه رسول الله، من منع العنف، ومنع استخدام القوة، حتى صنع المجتمع الراشد والحكم الرشاد بالفكر الأبيض واليد البيضاء.

إن كنتم لا تفهمون هذا، فستضطرون إلى فهمه في المستقبل، وستقبلونه رغماً عنكم، ولكن بعد أن تدفعوا أثماً باهظة، والحكم الذي ستصنعونه بالعنف لن يكون حكماً راشداً، بل سيرجع عليكم بالعنف فيما بينكم، ومن لا يعتبر بالتاريخ الماضي، فإن التاريخ القادم سيحمل إليه ما يضطره للقبول به.¹

1 المرجع السابق نفسه.

والانبياء رسالتهم لاعنفية وجوهرها واحد¹ (ويمكن أن نقول: إن الاعتراف بوجود رسل لم يرد ذكرهم في كتب الديانات التوحيدية في الفضلاء الثقافي الذي أرسل فيه نوح وإبراهيم، يفتح الباب للاعتراف برسل الثقافات الأخرى سواء في الشرق الأقصى، أو في أفريقيا، أو السكان الأصليين في القارة الجديدة. حيث إن الأمم الآن بدأت تبحث عن ثقافتها القديمة لتثبت وجودها وذاتيتها وهذا المنهج يضع البشرية على طريق التوحيد والاعتراف بالقواسم المشتركة بين الأمم ورسالتها أيضاً، وهذا الموقف قيمة إيجابية إنسانية للناس جميعاً على سبيل التعاون والتفاهم والاعتراف بهم مشاركين في المسيرة الإنسانية. إن تطلعات الأنبياء لمستقبل البشرية لم تأت إلى حياة البشر، حيث كان مبدأ الأنبياء في أعلى مقاصدهم أن يكون تنافس البشر في فعل الخير، وأن يكون الهدف هو هذا إذا رجعنا إلى الوراء لنكتشف الأسس التي تمكننا من القفز إلى الأمام مثلما يرجع الذي يريد أن يقفز إلى الوراء ليكون قفزه إلى الأمام أكثر قوة، لا أن نرجع إلى الوراء لنبقى هناك. ووسائل الانتقال ينبغي أن تكون لها القدرة على العودة إلى الوراء لا للبقاء هناك ولكن للتمكن من المناورة ليكون التقدم إلى الأمام فعالاً أكثر.

1 جودت سعيد، الدين والقانون، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1998، مبحث: رحلة النبوات.

فإذا كان البشر لم تكن تتيسر لهم الطاقة إلى الأمام، ويتراجعون ليحولوا التنافس في فعل الخير إلى تنافس في فعل الشر وتسابق إليه، فإن هذا العجز ليس ميزة البشر وإنما القدرة على التجاوز ليستخدموا كل الإمكانيات، ليكون التجاوز أسرع وأقل كلفة وأحسن مردوداً. ولنتذكر ما عاناه الذين دعوا إلى أماكن متقدمة في أسلوب استخراج أفضل ما في الإنسان من إمكانيات، فإذا السبل تكاد تكون مغلقة أمام أغلبية الناس، فلنستخرج العبر من التاريخ، من رواد الإبداع ليتحول الإنسان إلى أفضل ما أبدع فيه من قدرات، وفي هذا يقول القرآن لشدة أزر المبدعين)

(والقرآن يُظهر عزم جميع الأنبياء على مشاطرتهم موقف ابن آدم وعلى مقاومتهم الشر والصبر على الظلم الذي يُنزله بهم شعبهم. ويدأبون في الدعوة إلى الحوار ويتحملون نتائج ذلك جميعها. ويرفضون أن يردوا على الأذى الذي يلحق بهم بأذى مثله. فهم عازمون على عدم التردّي في قانون العنف لأنه يُعدّ في نظرهم تجديدًا)¹.

1 في حوار مع جودت سعيد لجلة قضايا إسلامية معاصرة أجراها عبد الجبار الرفاعي.



المنطلقات الفكرية و"الميتولوجية" لنظرية اللاعنف عند جودت سعيد

تتمحور طروحات مقارنة جودت سعيد لللاعنف حول ثلاثة مرتكزات أساسية نجدها كنظرية متكاملة استقاها من النصوص القرآنية المتعلقة بقصة خلق آدم، وبالرغم من أنه انطلق من خلفية ميتولوجية "لاهوتية"، فقد هدف الولوج الى المعنى الرمزي والمغزى اللاعنفي دون إلزام الغير بمضمون النص كحقيقة تاريخية، ليصل الى خلاصة أن الفساد وسفك الدماء هي مشكلة البشر وأن الإنسان بوصفه كائناً عاقلاً يختار بوعي، فإن عليه تحمل مسؤولية تبعات أفعاله وأخطائه، وإن للعقل دوراً مهماً وسلطة تتفوق على

كل عنف وهي مرحلة تدشن عهدًا جديدًا في تاريخ الحضارة البشرية و نقلة نوعية في الوعي الإنساني.

أولاً: مفهوم الفساد في الأرض ودور الكائن الإنساني فيه¹ :

أن الملائكة اعترضت على خلق الإنسان في لحظة الخلق الأولى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ فاجابهم الله: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وهذا النص كما نفهم من التاريخ، يرسم الأفق الذي يتحرك إليه الإنسان، فالإنسان وإن بدأ في الفساد وسفك الدماء لكن منحى تطوره واتجاه تقدمه هي: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وإذا كان البشر إلى اليوم لا يزالون يعيشون حسب توقعات الملائكة، حيث الفساد وسفك الدماء وشن الحروب، فإننا نرصد في التاريخ ما نقرؤه في الكتاب من خطو الإنسان باتجاه ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة، 30]. كإشارات على بدء تحقق علم الله في الإنسان.

الله قال الحقيقة عندما قال أن الملائكة لا يعلمون أن الإنسان سيتجاوز المرحلة التي يُفسد فيها ويسفك الدماء. في

1 جودت سعيد، كن كابن آدم، مرجع سابق، مبحث: ابن آدم ومشكلة الفساد

الحقيقة، نحن لا نكتفي بالتكهنات، لأننا نرى في العالم أن هذا الأمر بديهي؛ وسيتحقق في مستقبل غير بعيد جداً¹ مع ذلك، يشير جودت سعيد إلى أنه في الوقت الحاضر مازال تاريخنا، للأسف، يحقق نبوءة الملائكة بحق نوعنا البشري.

ثانياً: مفهوم الاختيار ومبدأ تحمل مسؤولية²

(إن صنع الأسباب يكون بالاختيار لا بالحثم. ولكن حدوث النتائج حتم. فبهذا الشكل صار الإنسان مسيطراً على الحتم، كما أن الإنسان حين يغفل عن سنن الله، فإن سنن الله لا تغفل أن تأخذ طريقها دون شعور من الإنسان الغافل. وحينئذ لن يتمكن الإنسان أن يرى للتاريخ أسباباً، وإنما يرى أحداثاً حتمية، لا دخل لجهود الإنسان فيها. فمن هذه النظرة تنشأ القدرية..)

وفي قصة آدم وزوجه تحملاً نتائج صنيعهما عندما أوصاهما الله: ﴿لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾، لكنهما نقضا الميثاق، فأكلا من الشجرة المحرمة وعندما ناداهما ربهما ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا

1 جودت سعيد يُعرِّف بنفسه.

2 جودت سعيد، الإنسان كلا وعدلا، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، ط1، 1993، مبحث بعنوان: نظريتنا التاريخ.

عَنْ تِلْكَمَا الشَّجَرَةِ ﴿كَانَ جَوَابَهُمَا: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا﴾ [الأعراف، 19-23]، فاعترفا بالخطأ وتحملا مسؤولية فعلهما، وهذا يمكن أن نقرأه على أنه جواب على اتِّهام الملائكة في النص السابق، ورسم ملامح سبيل الله، سبيل الإنسان للتقدم في التاريخ، مقابل سبيل الشيطان الذي يبرر معصيته مرة بحجة عنصرية ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ﴾، ومرة بحجة فلسفية ﴿فِيمَا أُغْوِيْنِي﴾.

ويتبين مما قدم أن القرآن يؤكد تدخل جهد البشر في صناعة أحداث التاريخ. وبمقدار وضوح هذه الحقيقة في آيات القرآن فإنها غامضة بالنسبة للمسلمين.

وخلاصة القصة إن تبرئة الذات واتهام الآخر ليس حلاً للمشكلة، وإما ابتعاد عن سبيل الحل، إن الحل يكون باتهام الذات، والبشر جميعاً حتى يومنا هذا على مذهب الشيطان في تبرئة الذات واتهام الآخر، وليس على مذهب آدم في اتهام الذات الذي تدعمه سنة التاريخ وحقائق الحياة ومنهج القرآن. ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾ [النساء، 79].

وعملية فهم أحداث التاريخ بهذا الشكل الذي يتدخل فيه جهد البشر، يساهم مساهمة كبيرة في إيجاد شرط أساسي من شروط الفعالية؛ وذلك لأن هذه النظرة لا تؤدي إلى نتائج نظرية

فحسب، بل تتدخل في تكييف سلوك الإنسان أمام الأحداث وتضع الإنسان في المكان المناسب له في هذا الكون.

ثالثاً: اللاعنف والعقل¹.

إن استهلال التاريخ الإنساني لم يكن بالقتل أو بالجريمة، وإنما كان بخيار إنساني يتناسب مع هذا الخلق الجديد الدماغ الإنساني، فكان اللاعنف، ورفض القتل وسفك الدماء، وعدم الدفاع عن النفس بالعنف.

والتاريخ سجّل هذه الشهادة مرات كثيرة، وكان أكثر المرات وضوحاً، في موقف سقراط وتحديه بقبول الموت، على أن يوقف حواراً مع الجهاز العصبي، أو يتخلى عن واجبه ومسؤوليته.

ويمكن ان يقرأ المرء ذلك في قصة ابني آدم، فالذي فشل في عمله قال للآخر: «لأقتلك»، لقد اتهم الآخر بأنه سبب الفشل، بدل اتهام ذاته، ورأى القتل سبيلاً للحل، لكن الإنسان الذي أدرك إنسانيته وعرف نعمة الله في الدماغ الذي وهبه، أبى أن ينتكس إلى عالم العضلات، بعد أن عرف نعمة العقل فأجاب:

1 جودت سعيد، الدين والقانون، مرجع سابق مبحث: قصة ابني آدم.

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ
إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة، 27-28]، لقد رفض أن
يشارك في القتل بإصرار ووعي وتحمل للمسؤولية والتبعات،
لقد أدرك إنه يملك سلطة جديدة هي سلطة العقل، وعليه أن
يستخدمها فدشن بهذا عهدًا جديدًا، شكّل نقلة نوعية للتاريخ
والوعي الإنساني.

وسواءً أكان الموضوع يتعلق بمحادثة تاريخية أم بقصة رمزية،
ما يبدو مهمًا في هذه القصة هو الطريق الذي تدلُّ عليه لكي
ترتقي البشرية إلى مستوى الروح.... ليس هناك في موقف هابيل
أي تردد ولا أدنى شك. إنه مصمّم وعازم على مواجهة
نتائج موقفه.

فهابيل، وهو يخاطر بالموت كي لا يرتكب القتل، يُظهرُ
المسؤولية الأخلاقية التي ينبغي على الإنسان أن يتجسّمها من
خلال رفضه أيّ تواطؤ مع الشر.

وهكذا فإن التاريخ، بحسب أسطورة آدم التي رواها
القرآن، لم تبدأ بجريمة قتل بل بفعل لا عنفي. فالرواية تضع
البشرية مباشرة أمام خيار وجودي بين العنف واللاعنف.

خلاصة

يريد جودت سعيد ان يحيك نظرية اللاعنف المتمحورة حول هذه القصص وهو الثقة بالإنسان ومستقبله، وتأكيد أهليته لعمارة الأرض، والإيمان بقدرة الإنسان على وقف الفساد وتوطيد العدل، من خلال تحمل البشر عمومًا والمثقفين الحكماء خصوصًا مسؤولياتهم في التاريخ، فعليهم ألا ينتظروا المخلص فكلهم مُخلّص، عبر سبيل الله، وطريق ابن آدم، طريق احترام عقل الإنسان، الذي يعني تلقائيًا اتهام الذات وسلوك اللاعنف، فالإيمان بالعقل أسلوبًا لحل المشكلات، هو استبعاد بطريقة آلية للعنف والقتل كحل أو أسلوب لحل المشكلات.



المرتكزات العقدية للاعنف عند جودت سعيد¹

تتبلور نظرية جودت سعيد في اللاعنف من خلال محاور "عقدية" وجودية يقدم من خلالها قراءة جديدة عميقة للنص اللاهوتي والمصطلح القرآني، تتلخص بمحاور ومفاهيم تترابط فيما بينها، وتوضح علاقة الإنسان بالكون والمكون والكائنات من خلال اعتماده وتركيزه على مرجعية تاريخية أركولوجية وهذه المرتكزات هي:

- توحيد الله
- العدل: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾

¹ جودت سعيد، الدين والقانون، مرجع سابق، فصل: لا إكراه في الدين.
وأيضاً كتاب: كن كابن آدم، مرجع سابق، فصل: الإسلام ولا إكراه في الدين.

• الكلمة السواء ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ﴾

• اللإكراه: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾

فتوحيد الله هو إقامة العدل، والعدل هو الكلمة السواء،

وهو ما يستوجب اللإكراه.

(فالعدل بحسب القرآن هو منطلق الشيولوجيا الجديدة، لأنه هو

التوحيد، فتوحيد الله الذي في السماء ليس مسألة ميتافيزيقية وإنما

مسألة اجتماعية سياسية، أي أن لا يكون هناك آلهة بشرية على الأرض،

فما دام هناك أصحاب امتيازات في العالم، فلا سلام ولا حقن دماء، بل

بؤس في جانب وخوف وقلق في جانب آخر، بؤس ومعاناة عند الغالبية

من سكان الكوكب وخوف وقلق عند القلة المترفة، يعني أن يتقلب

الجميع في جحيم الخوف والقلق، سواء على لقمة العيش أو على

الامتيازات، وحسب القرآن فإن الغاية من الرسل والنبوات هي

﴿لَيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد، 25]، وهذا ما تبينه أيضاً آية السواء

التي أرسلها الرسول محمد إلى ملوك زمانه: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا

وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا

مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران، 64]

في ذلك إشارة واضحة إلى أن توحيد الله في السماء يعني أن

نساوي بين الناس على الأرض. إن هذه النظرة إلى التوحيد والعدل

تجعل المثالية واقعية، والغيب شهادة، والإلهي بشرياً، والخارق سُنّية، وبهذا فقد صار الدين علماً. وكل شيء صار علماً يصير عالمياً.

والعدل يستوجب الديمقراطية والإكراه وهي الواردة بقوله تعالى ("لا إكراه في الدين" هي الرشد، وأن الإكراه في الدين هو الغي، فالجملة الثانية شرح وبيان للجملة الأولى، فجملة (لا إكراه في الدين) بها تبين الرشد من الغي، فالإكراه هو الغي، والإكراه هو الرشد، وكذلك الجملة الثالثة تفسير وبيان للجملتين السابقتين. ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الذي هو الإكراه، ومن يفرض دينه بالإكراه، ومن يؤمن بالله الذي يقرر أنه لا إكراه في دينه وفي الدين كلياً، فمن التزم هذا فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها.

وهنا نكون قد وصلنا إلى فكرة كبيرة جوهرية، هي أن الدين لا يجوز نشره بالقوة والإكراه، والدين هو تفسير الكون، أي الوجود كله بما فيه الإنسان.

وعلاقة الإنسان بالوجود وبالناس الآخرين هي المبدأ والمنتهى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت، 53]، وعند هذه النقطة يمكن بحث الدين، أو فكرة الإنسان عن الوجود، والفكرة التي يريدتها

القرآن من الناس في فهم العالم والتي نرجو أن نتمكن من توضيحها من ناحية النصوص، ومن الناحية التاريخية.

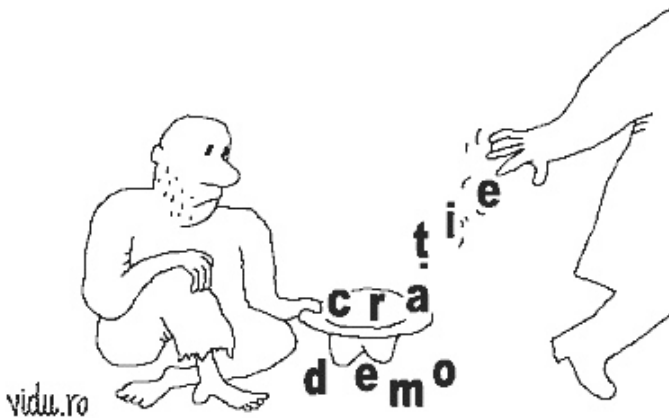
إن العدل وكلمة السواء ليست عدمية، لأن العدل للإنسان ليس عبثاً ولا عدمياً ولا باطلاً بل محاولة إخفاء ذلك أو عدم رؤيته من خلال التاريخ هو العبث، نعم يمكن أن يئس الناس من طول الحياة العابثة التي يعيشونها ولكن الحياة لا تضيع هدفها.

«وَلِكَثْرَةِ الْإِثْمِ تَبْرُدُ الْحُبَّةُ» انجيل متى (23: 12)¹

ويقول سعيد في محاضراته خلال مؤتمر بلجيكا حول دور الفاعلين الدينيين في بناء السلم والديموقراطية²: (إن هذا التحليل يشعرني براحة عظيمة كيف لا وأنا أستند إلى التاريخ والأنبيا وحقائق الحياة، وأدعو إلى كلمة السواء التي يفسرها القرآن بأنها ﴿لَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [آل عمران، 64]، أي أن لا يكون أحد فوق القانون، فهذا هو الشرك، وهو الذنب الذي لا يغتفر، وهو الظلم العظيم الذي يحبط كل الأعمال ولا تنفع معه بقية الطاعات، وهو المنتج لكل مآسي التاريخ، ألا من كان له أذنان للسمع فليسمع.

1 جودت سعيد، الدين والقانون، فصل لا إكراه في الدين، مرجع سابق.

2 Jawdat Said Mohamed ، During the seminar: The role of religious actors in peace-building. Ibid ، 2 Dec 2009



الديموقراطية واللاعنف عند جودت سعيد

إعلان موت الحرب

يرى سعيد ان التطور البشري وسيرورة الحضارة الإنسانية تدفع الإنسان رغماً عنه إلى الديمقراطية التي تعني العقل والإقناع والسلم، ويشير الى انه وبحسب هذه الرؤية للتاريخ "فقد أعلنتُ موت الحرب"، مع أول تفجير نووي، فالكبار لم يعودوا قادرين على الحرب، ولكنهم يستغلون جهل الجاهلين ويستثمرون جهلهم ببيعهم الأسلحة، إن الحروب قرايين البشرية، والقتل لم يكن يوماً حلاً لمشكلة بل هو مفاقمة لأي مشكلة كما يعلمنا درس التاريخ.

إن وجودنا في هذا العالم ليس عبثاً، ولا باطلاً، ولا لعباً، إن
سعادة الإنسان تنبع من خدمته لقضية عادلة. وأعظم القضايا
هي أن يتوقف الفساد وسفك الدماء.

إن مما يسجل للأوروبيين أنهم لم يبتكروا وسائل لنقل
البشر والمعلومات فقط، بل ابتكروا وسيلة لنقل السلطة غير
القتل والوراثة. وسيلة تحترم العقل الإنساني وتحيي معنى
الشرعية وتعطي قيمة لاختيار الناس، كما مارسه النبي محمد في
القرن السابع، وكثيراً ما أكرر أن الإنسان هو أعظم ما خلق الله،
والديمقراطية هي أعظم ما صنعه الإنسان، وجوهرها أن يؤمن
الجميع بعدم اللجوء إلى العنف في حل المشاكل، بل إلى الإقناع
وعد الأصوات. إن الديمقراطية خلق جديد، ينمو نحو الأفضل،
إن (دمقرطة: جعل العالم ديمقراطية كبيرة) العالم هو التحدي
الذي ينتظر المثقفين والساسة حتى يصبح العالم أكثر أمناً
وراحة للجميع.

لقد انتهى عهد الأنبياء وانتقلت المسؤولية إلى أهل العلم
ليخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن الظلم إلى العدل
ومن الاستعباد إلى الحرية، من الفساد وسفك الدماء إلى
﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، إن أقرب الناس إلى الله هم الذين

يُقَدِّمُونَ الخدمات لإخوانهم البشر، والأنبياء جاؤوا ليتنافس
الناس في فعل الخير، فلتتنافس نحن كيف نصنع السلام العالمي،
وكيف نصنع المجتمع العالمي الذي يتساوى الناس فيه أمام
القانون، ونكون بذلك حققنا إرادة الله وأمنية الأنبياء.¹



1 المرجع السابق نفسه.

لامعة

لا يهم إن كان المرء "مؤمنًا" أم لا، فهذا شأنه، فلتكن لكل
امرء طريقته الخاصة لاكتشاف إنسانيته النابعة من فيض قلبه.
أساءل نفسي: أليس من الأجدى إقامة السلام في قلوبنا
بدلاً من إقحام النفس في التنظير لحل خلافات الأغيار؟
ان شدة انشغال المرء بالتنظير تحجب عنه رؤية الأمور
ومعابنتها واختبارها؛ فذاكرتنا التعمودية التي تتكئ على
الانفعالات والتداعيات تقطع عنا مجال الإدراك الداخلي.
أليس في نقل أفكارنا بلحاح للغير والاستماتة في تطبيق
نظرياتنا كارثة تعمي عن رؤية الواضح الجلي؟
هذا ما أختبره ربما...ولربما الخير كل الخير في ترك الآخرين
وشأنهم ليجتازوا بخبرتهم الفطرية مراحل نموهم واكتشاف
إنسانيتهم.

ان ما جمعته، عن الآخرين ومنهم، في دفتي هذا الكتاب
على الرغم من قصوره، ليس إلا شاخصة تشير الى سلام
الإنسان الداخلي، ولعل التشبث بحرفية كلام العرفاء

والمستنيرين يعيق دون الوصول قدما نحو تحقيق هذا السلام، لأن
التمسك بحرفية التعاليم يحول دون الخبرة التي على المرء ان
يتذوقها بقلبه لا في كراسات الوصايا وبين الكتب.

فليبتكر كل امرء منا لاعنفه ويختبر إنسانيته بنفسه، عندها
سيرى أن جوهر الاستنارة اللاعنفية قابضة فيه وإن تعددت
مسالكها لان الوحدة الإنسانية واحدة!

استراتيجيات الأمل



التآم المادة مع الروح في إطار وحدة الوجود



معبر نحو السلام

"لما كان أنصار أو أتباع الموقف السلبي يذهبون مذاهب وعقائد شتى ومتعددة تتناسب مع مصالحهم الفردية أو النفعية أو مع مستوى إدراكهم المتدني، فقد تجزأت وجهة النظر المبدئية إلى وجهات نظر متنافرة، أو متناقضة أدت في نهايتها، إلى خلافات تجاوزت حدود الاختلاف"¹

ندرة اليازجي

في ظل الظروف العنيفة يبقى لنا الأمل والحلم، وبقلبٍ منفتح يتلمس المرء جوهر أن ما يستبدّ بنا هو "حتميات" اخترعت نصفها

1 ندرة اليازجي، ثقافة الحوار والتسامح، مرجع سابق، ص 20.

بأنها منطقية، ولكنها "منطقية" فقط ضمن إشرطات محيطها الجغرافي والزمني والتاريخي.... وهي على الحقيقة ليست حتمية مطلقة ودائمة، وهذا الأمر ينسحب على كل المفاهيم بما فيها الفلسفية...

فهل علينا أن نواصل عنفنا المقنّع بالمنطق من خلال "صراع الحتميات" أم أننا نستطيع ان نعبر ونتجاوز ونغمر؟

يمكن العبور بطبيعة الحال عبر إدراك المستويات المتعددة للواقع وتجاوز البعد الزمني والمكاني المقيد، واعتماد أسلوب ذهني غير منفعل يعتمد طريقة مختلفة لإدراك الواقع، بحيث نرى الشيء عارياً مجرداً دون معرفة ذهنية قبلية وبدون تشويش انفعالي.

لغاية اليوم لم يكن الكائن الإنساني متحضراً أو مثقفاً أو متديناً، فباسم الحضارة قام بجميع الأعمال الوحشية وتحت شعار الدين ارتكب الموبقات، وفي ظل الثقافة مارس جميع أنواع البدائية والحيوانية!!

لقد ابتعد الإنسان عن الحقائق الوجودية وأنا ككائنات بشرية جميعنا واحد، وهذا ليس من باب الافتراض الطوباوي، بل أيّدته تجارب جميع الحكماء على مدى العصور التي أثبتت أن الوجود بكليانيته وحدة واحدة عضوية.

إنها رؤية ترقى بالإنسان لاستخدام تفكير ايجابي لا يغفل عمل الروح، ويضع خبرة الكائن في اطار وحدة الوجود، فتتلاشى الصراعات وتتولد الحلول، إنها مسألة عبور نحو السلام...

" أسلك طرقاً تتقاطع مع كل إنسان
أعبر مستويات الوجود
أعبر الواقع والذات
أتبرأ من كل الأزمان
أطيرُ إلى أبعدٍ من أبعدِ جَوهرٍ
أتجاوز الأسباب... والمسببات
أمرّ.. فوق كل الكلمات والتسميات
هناك عند الروح تهدياً رُوحِي
فما آلمني... صراعٌ أدلجتُ أطرافه
و اكنوت لجرح أي كائن...
وأعبر اليوم لأجل إنسان"¹

1 من ديوان: معابر الروح، للكاتبة الصادر عن دار شمس 2008، قصيدة معبر سلام، ص97.

لامعة

إنَّ العالم يتحرك بإيقاع دوري حركة دائبة في صيرورة أبدية، والكون يعمل بمقتضى ناموسٍ ينسحب على كلِّ الكائنات بما فيها الأدمية، فالقانون الكونيّ يسري في تناغم الواحد مع الكلِّ فجميع خصائص الكلِّ وصفاته تنطوي في الواحد. وأنويّة الإنسان توجّه سلوكه، فإن كانت مُثقلة بذاكرة أليمة مشحونة بماضٍ موجهٍ فإن سلوكها الحاضر يحمل تشنجات الذاكرة التي من شأنها أن تنعكس بردود فعل إنفعالية في السلوك، فيصبح الحاضر عنيفاً يكتنز الغضب الماضي كله بصراعاته، مع تنامي الرغبة في جعل المستقبل ميداناً للانتقام أو لتصفية الحسابات أو لتحقيق رغبات لم يتم إشباعها سابقاً، مما يعني استمرار العنف الممتد من الماضي إلى المستقبل.

إن الانعتاق من ذاكرة الماضي المؤلم واختبار الحاضر بوصفه واقعاً حياً من شأنه أن يحرر الإنسان من عنف الأنا المنفعلة، إنها ببساطة شديدة، إبداعٌ فريد من شأنه أن

يُحقق اختباراً حقيقياً للذات في واقعها المعاش بحياة عبر
وعى الإشارات المتحركة في الأنا.
وعندما يرى الإنسان التناقضات المتحركة فيه فإن
تحولاً حقيقياً سوف يجر الفرد من معضلة العنف
والفساد، إنها رؤية الموجود بدون تصورات ذهنية مسبقة
ومن دون بعدها الزمني.

" فالذهن المثل بالأكام المسبقة عصي على الحرية " ¹

1 ديميتري أفيريونس، في تقديمه لترجمة كتاب "التأمل" لكريشنامورتى، ص 6.



الحصاد المرّ

ماذا بعد تراجع القيم الإنسانية؟

"من أجل حكم الشعب والتعامل مع الطبيعة، لا شيء
أفضل من مبدأ اللافعل"

لاوتسي¹

ومبدأ اللافعل في الحكمة الصينية يتمحور حول ترك
البشر على سليقتهم الطبيعية وفطرتهم الإنسانية الخام دون

1 لاوتسي LAO ZI، اسمه لي أر ولقبه دان، و"تسي" لقب شرفي للحكمة، وهو حكيم صيني - طاوي زامن كونفوشيوس، لا يوجد تاريخ دقيق لولادته بيد انه عاش في دويلة تشو في الفترة ما بين 475 و 722 ق.م، ويرجع انه كان في القرن السادس قبل الميلاد. تساي شي تشين، لاوتسي، سلسلة الحكماء يتكلمون، دار النشر لتعليم اللغة الصينية، بكين، الصين، 2008، ص 206.

LAO ZI says ، Sinolingua. Beijin ، China ، 2008، p 206

تشويهها، ودور الحكام في سياسة الرعية يكون عبر مساعدة الإنسان للعبور نحو السلام، والخدمة من أجل إعادة الحضارة إلى أحضان الطبيعة.

إنها رؤية سياسية لحكماء الصين قبل أكثر من ألفي عام!
إنها تتمحور حول خدمة الطبيعة والإنسان وهو ما يعرف
بفلسفة "الداو" أي "السييل" إلى الطمأنينة.

فكيف هو حال سياسيينا مع البشر، نحن أبناء الألفية الثالثة؟
قد تبدو الأزمات متفرقة غير انها في جوهرها متشابكة
وتتمحور حول غياب الإنسان، ففي عصر عولمة رأس المال وانتصار
نموذج السوق ولو على المستوى النظري، تدهور العامل الإنساني
وتراجعت القيم الإنسانية بشكل ملحوظ، وتراجعت إرادة الفرد
وقوته، حيث أمست القوة الاقتصادية المطلقة تهيمن على قرارات
الدول، وتكاد تكون المحرك الأبرز الوحيد للعلاقات.

أمام تلك المنعطفات الحادة يصبح واضحاً أمام البشر، أن
الخسارة الكبرى بالنسبة لهم هي فقدان الثقة بالعامل الإنساني،
فالصراعات السياسية هي في حقيقتها صراعات "إرادية" حيث
يحاول كل طرف الضغط على الآخر للإستسلام له بحيث يفقد
هذا الآخر إرادته في المقاومة ومواصلة النضال.

إن تراجع العامل الإنساني في العمل السياسي والعلاقات يقلب نظام الأشياء إلى فوضى عارمة، فتتحول البنى المؤسسة للحياة وأهدافها؛ لذلك فالتجارب أثبتت فشل الانظمة الشمولية، كما فشلت السياسات التي لا تتجاوب مع الواقع واحتياجاته ومتطلباته ومستوياته بما فيها الأنظمة الديمقراطية والعلمانية، وذلك عندما أهملت المكونات المتكاملة للإنسان؛ لقد انهارت الماركسية الشيوعية وفشلت لأنها ربطت تخلف الأمم بالبنية الاجتماعية والاقتصادية المادية دون سواها من العوامل الاخرى المكونة للإنسان؛ والرأسمالية الجشعة اليوم فشلت بالتأكيد لأنها شَيَّتَ البشر وحولتهم الى سلعة تُباع وتُشترى لصالح الدول الأثرى في العالم المتحكمة برأس المال.

لقد فشلت كل هذه الانظمة في صنع جنة الله على أرضه كما وعدت شعوبها، لأنها لم تستطع الارتقاء بمستوى الوعي والمعرفة والارادة عند الشعوب، كما انها لم تتعامل مع أبعاد الكائن الإنساني المتكاملة بما فيها النفسية الروحية، بهدف تحقيق أكبر قدر من انسجامه مع الوجود من خلال الأخلاق والوعي والفضيلة.

وفي هذا السياق يقول المفكر ندرة اليازجي:

"عندما ينقلب النظام الى فوضى، تتحول أسس الحياة من

وعي أو معرفة إلى جهل أو لا معرفة، ولما كان واجب الإنسان

يتمثل في الوعي والفضيلة، فإن كل عملية أو اختبار في نطاق النظام تحقق له ما يريد وكل عملية فوضى تقضي على إنسانيته، لذا كان النظام ضرورة كونية لأنه يمثل الإطار التي تعمل فيه قوى الوعي كلها"¹

إن المنطقة العربية شهدت ولادة قيادات فكرية متنورة قدمت الكثير من النضالات والتضحيات غير أن ذلك لم يكن كافياً للنهوض، والسبب ربما يعود إلى أن هذا التنوير لم يكن متكاملًا ولم يتناول الأبعاد الإنسانية كلها ولم يتمكن من الانفلات من الماضي، فغالبا ما نرى أنه "تنويراً" من جهة واحدة ولجهة واحدة فقط ويرتكز على "التاريخ"، فكراً أحادي البعد لا يتناول سوى الجانب المادي من حياة الكائن الإنساني، واننا لغاية الآن برغم من التطور الهائل الذي حققناه كبشر على مر العصور، نقوم باسم الحضارة والثقافة والدين بكافة الأعمال القمعية والبربرية ملقين التهم على الآخر، مبتعدين عن حقيقة ان الوجود بكيّيته وحدة عضوية، الأمر الذي حولنا إلى طوائف متصارعة وذوات متنافرة، تُكرّس الأنوية السياسية التي تتشكل من مجموعة توترات نلف انفسنا بها ونعيش في سلاسلها،

1 ندره اليازجي، فلسفة الإنسان الثائر، مرجع سابق، ص 96.

كما حوّل الطاقة الجماهيرية إلى عنف جارف، في ظلّ اختفاء شبه تام للقيم الجمالية والأخلاقية ومفاهيم السلام. إن السياسة الأدوم نجاحاً، هي تلك التي تعتمد على استراتيجية منسجمة مع ايقاع الكون وتناغمه الطبيعي، وقد يبدو هذا الطرح حليماً صعب المنال، غير انه آن لنا أن ندخل الى الفكر السياسي من خلال الفن والجمال والقيم وبشكلٍ معاصر، والمعاصرة هي ان نحيا مستوى اللحظة الآنية لعصرنا ولواقعنا، فهي اللحظة الحيويّة انها نقطة برزخية بين مستويات الواقع كلها وهي نقطة دائمة التطور والتحرك في آن معاً.

أما على مستوى علاقات الشعوب مع بعضها البعض، فلا بدّ من افتراض حجة أخلاقية كاملة ومستند قيّمٍ مفاده أن أصحاب القضايا العادلة¹، لم يُنصت لهم ولم يؤخذ وضعهم الإنساني بعين الاعتبار يوماً في المجتمع الدولي بشكل كامل، وان

1 ان القضايا السياسية العالقة: الفلسطينية، العراقية واللبنانية والسودانية... جراح نازقة في المنطقة، ولعل اعقدها القضية الفلسطينية فالأطراف جميعها بما فيها التي وقّعت شبه اتفاقيات مع اسرائيل سميت "باتفاقيات سلام" غير مؤهلة الى الآن لتقبّل فكرة التسامح برغم ما حصده من مآسي، والاتفاقيات الموقعة كلها ليست الا حبرا على ورق كونها تحمل في طياتها بزور الصراع والعنف وهي بنود شكلية وقّعت بين "انظمة عنيفة" لا تمثل شعوبها ولا تتضمن بنودا عادلة كإعادة الحق الى أهلها، فيما الشعوب أيضا لا تزال تعيد انتاج العنف في ظل الغياب الشبه التام للوعي، و"المجتمع الدولي" متفرج لا يعمل حتى على ادانة الجرائم الإنسانية...

كل شعوب المنطقة، امام تاريخ طويل مشترك من الاضطهاد والمعاناة الإنسانية وانهم موجودون على مساحة جغرافية لهم فيها مشروعية إنسانية، ويجب ان يحيا فيها كشعوب وطوائف وأديان جنباً الى جنب بسلام وتكافؤ، مرتقين لمستوى التحديات لا أن يبقوا فيها عرضة للتسويات المذلة والعنف المستباح.

فمن حقنا كبشر أن نحلم بالجمال ومن حقنا كما من حق
غيرنا من الكائنات ان نحيا بسلام!!

أفق

الابتكار فنٌ عظيم في الحياة وله تجلياته في جميع مناحي الوجود ويمكن ترجمته في كلٍّ وجوه المعاش والتعاملات بما فيها السياسية والاقتصادية بطبيعة الحال. للأسف، لا زال سياسيون عاجزون ودون درجة الإبداع بمراحل بعيدة لأنهم الى الآن لم يبتكروا طريقة توقف مأساتهم إنهم دمويون وحمقى وسفاحين وغزاة...

البشر يُعادون بعضهم بعضاً، لقد حملوا ذاكرة يأسهم ويستفرونها بشكل رتيب متكرر، حتى نسوا أنهم جميعاً مخلوقات على كوكب واحد وانهم ينتمون جميعاً لجنس آدمي واحد، وأن المسرة لا تُجلب لبعضهم دون بعض، فكلهم في مركب الوجود شركاء، وانه لا يمكن أن يعم السلام والأمان لبعضهم إن حرموا البعض الآخر منه، وأن العدالة كلٌّ لا يتجزأ، وأن سعادة البشر لا تكون بإتلاف الطبيعة وإفساد البيئة و التلاعب بأجنة الحيوانات وغذائها.

يقول ميخائيل نعيمة: "صلوا من أجل خير جميع المخلوقات. فكلّ ما كان خيراً لأيّ المخلوقات كان خيراً لكم كذلك، وكلّ ما كان شراً لأيّ المخلوقات كان شراً لكم كذلك"¹

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، ص 142.



العقول المُفَخَّخَة التفكير المنفعل و حالة الابداع

"كلّ من شاء أن يلطم المجرم يمينه، يجدر به أولاً أن ينظر
ببصيرة ذهنه إلى روح من أوقع الجرم عليه "

جبران¹

1 جبران خليل جبران، النبي، مرجع سابق، ص 114.

إن العقل السياسي المنبني على الذهنية الانفعالية يسعى إلى تكريس العنف ويتجلى ذلك في مظاهر القمع المتنوع وفي درجات الخوف المصاحبة لذلك، مستخدماً لذلك الخطاب الأيديولوجي ذريعة لسلوكه، بحيث يصبح النص اللاهوتي ساحة عراك مفتوحة للاجتماعي والتربوي والفكري والسياسي، وتهدف السلطة كما الأطراف المتصارعة من خلال التأويل إلى إعطاء "أيديولوجيتها" المشروعية الأولى والعليا.

لذلك نجد أن العقل السياسي المسيطر يسعى دوماً إلى دعم الخيارات العنفية، والسبب في ذلك يكمن في أن السلطة السياسية تريد ضمان سيادة أيديولوجيتها الحاكمة التي تضمن لها إعادة انتاجها من جديد وذلك من خلال أمرين: أولاً: إبقاء استمرار سلطة القوة والفكر المنفعل على حساب الابداع.

ثانياً: إبقاءها على داوم المرتكزات البنيوية الداعمة للعنف في المجتمعات التي تسيطر عليها.

فالسياسي لا يقرّ عملياً بضرورة أن يكون الحدس و أسس التكوين والبرهان والنقد أسساً ديموقراطية، والسلطة السياسية تتهرب دائماً من حق الآخر بالاختلاف معها، مع ما يرافق ذلك

من كتم الحوار وممارسة شتى انواع القمع لذا فهي العدو الأول
للإبداع.

و تتمظهر هذه العلاقات الإنفعالية من خلال نزاعات
وحروب دامية، تتشكل بسرعة مذهلة، لا سيما في التجمعات
العنصرية، التي تخشى على هويتها بشكل دائم عبر إرغام أفرادها
بالاستمرار في الصراعات وتكريس المفهوم المعتاد في خلفيتها
الفكرية القائم على "النصر" أو الهزيمة، وأن الغير هم على
خطأ وأنهم يستوجبون العقاب....

إن ذهنية كتلك، كثيرة الضوضاء والانفعال ولا يمكن لها أن
تبدع السلام، وجل ما يقوم به بعض مثقفي اليوم لا يتجاوز
استنتاجات انفعالية غير منتجة على المستوى الحضاري لأنها
ليست نابعة عن خبرة داخلية روحية معاشة، وهي ذهنية جدلية
تعتمد الصراع وقودا لها، وهي عاجزة ومحدودة وتؤدي الى
إعدامات جماعية معنوية ومجازية حسية.

إن أحوج ما تحتاجه الإنسانية اليوم للتخلص من
الصراعات هو اعتماد حالة تغاير التفكير السائد حاليا، وتختلف
تماما عن منطق من يُصنّف انه الخصم او "الآخر"، من خلال
وعى حالة الإبداع الكامن في وعى الإنسان، والعبور من

أسلوب الصدام الإدراكي Perceptual Clash الى اسلوب البناء والتصميم الابداعي Creative Design. هذا الاسلوب يعتمد أمرين¹:

- الأول: الخروج عن المذهب العقلي الإدراكي الصرف الأحادي البعد.

- ثانيًا: اعتماد استراتيجية "تشتيت الصراعات" من خلال وعي إشرطات الواقع المعاش؛ وإني أفضل تسميته بالخروج الدائم من مستوى الصراع لأنها حالة السلام مع الذات.

فالمذهب العقلي الصرف Intellectualism بوصفه اتجاهًا يردّ الأحكام الى ذهن الإنسان فقط لا الى إرادته، ويغلق الباب أمام فهم الظواهر اللاإرادية والوجدانية علمًا أن بعض العلماء يعتبر أن المواجد جزء من عمل الذهن نفسه.

والامر الآخر هو الخروج عن تركيبة النزاعات، دي كونفلكشن De-confliction، والاجواء المهيئة لها، وهي مجمل الأمور التي تحدث عمداً قبل نشوب النزاع الفعلي... إنه

1 للإطلاع على موضوع علاقة طريقة التفكير بالصراعات العودة الى:

Edward De Bono: Conflicts ، Aitken & Stone Ltd ، London UK 1997

تفكيك لمملكة الإرهاب الفكري، واعتماد رؤية تربة الحرية عبر
البصيرة، بحيث نرى الأشياء كما هي لا كما نريد.

خاطرة

يقول أوشو: "الإبداع حالة من الوعي متناقضة على
الصعيد الظاهري. إنها فعل من خلال اللافعل" و"الحياة
تتعدى المنطق، إنها تناقض، إنها سر"¹

1 Osho ' Creativity: Unleashing the Forces Within ' Insights for a New
Way of Living. Osho international foundation , New York , USA, 1999.
Act in harmony with nature p31 - Memory & imagination p 136



نحو انقلاب "فكري"!¹ تفكيك مملكة الارهاب في الفكر الإنساني

" كل شقاء الناس يأتي من أنهم لا يعيشون في العالم، بل
في عالمهم "²

هيراكليطس

1 بالامكان العودة إلى كتاب المؤلفة المعنون: " فكرٌ على ورق: محاولة جديدة للإبداع"، دار الدوسري، المئامة، مملكة البحرين، 2009.

2 هنري برونل، أجمل حكايات الزن، ترجمة محمد الدنيا، مراجعة: محمود رزوقي، سلسلة إبداعات عالمية، العدد 353، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، 2005، ص 29.

إن نقد الواقع وفهمه لا يمكن أن يكون بمعزل عن فهم البنى الفلسفية المؤسسة للفكر الإنساني، ولعلَّ سبر "الظواهر" التي تطفو في المجتمعات الإنسانية بما فيها "السياسية" و"الاقتصادية" وغيرها؛ تُظهرُ أنَّ الأحداث اليومية ليست إلا صوراً متنوعة لانعكاسات الفكر الذي يكتنِزُ قدرًا لا يُستهان به من "العنف"، الأمر الذي يجعلنا نتساءل جدياً حول جدوى توصيف هذه الأحداث وقرائنها وحتى تحليلها، دون التعرُّض إلى بيت الداء وهو "البنى المؤسسة لمملكة الارهاب في الفكر الإنساني!"

منطق عنيف عاجز!

لقد عاشت الإنسانية قرونًا تؤمن أنَّ المنطقَ واحدٌ في كلِّ الأمكنة والأزمنة، وأنَّ طبيعة الفكر كلية عند بني البشر ومنهجيتها واحدة، وقد ساهم في ذلك سيطرة الفكر "الأرسطي" الصوري كقاعدة فلسفية أُرْتُكِزَ عليها في مجالِ التطبيق، كما اعتمدَ على الفيزياء الكوانتية القائمة على مجموعة التناظرات والسببية الشاملة وغيرها من القوانين.

إن سيادة هذا المنطق القائم على عدم تلاقي "الأضداد"، المبني على مبدأ "عدم التناقض"، بحيث لا يمكن أن يجتمع الشيء

وضده، أسَرَ الفكر البشري وأدخله في نفق الحتميات والاحكام المطلقة، وحشر التفكير في زاوية "الثنائيات الضدية" وقسَم الأمور الى "قطبية" حادّة ناجمة عن تفكير "خطّي" ذو بُعدٍ واحد سببه المنطق الأرسطي.

وتولّد عند هذا المنطق التي تبنته المؤسسات الدينية والمؤسسات السياسية واعتمدته الايديولوجيات بالدرجة الاولى، أموراً عدة أهمّها:

اولاً: تشريع النظرة الاستقصائية لكل ما يوصف بأنه "مختلف" وممارسة عنصرية مفرطة بحقه، في اطار يسوّغ العنف. فالتقسيم الصارم للاضداد "الخير/الشر" "العدو/الصديق" "الكفر/الايان" "الصواب/خطأ" ... سوّغ اطلاق الاحكام المطلقة على من يُصنّف بانه "شرير" وأجاز استعمال الاضطهاد تجاهه.

ثانياً: الاعتماد الكلي على "قانون السببية" الشكلي وأن هناك لكل شئ سبباً عقلياً، جعل الإنسان عاجزاً عن فهم "الصُدْف" بحيث لا يستطيع تفسير حوادث متزامنة لا يوجد بينها رابط عقلي.

ثالثاً: هذا المنطق جعل الطبيعة خاضعة لقوانين الفيزياء، وبالتالي تكون عبارة عن مركّب قابل لإخضاعات المنطق

الرياضي؛ علماً ان الرياضيات الى الآن أعجز عن إيجاد صيغة تسمح بالانزياح من عالم إلى آخر، لان مروراً كهذا سيؤدي الى انقطاع القوانين والقواعد التي ينبنى عليها العمل الرياضي الكلاسيكي.

رابعاً: من ميراث هذا المنطق افتراض ان "الكون" آلة ميكانيكية مؤلفة من تفاعل مواد أولية قابلة للتوقعات، وأن التاريخ يخضع للحتميات.

خامساً: هذا المنطق يؤدي الى عملية الفصل الدائم بين الوجود الواقعي "المُحَايِث" أي وجود ما هو موجود، والوجود "الْمُتَعَالِي" "وجود واجب الوجود" ..

مرآة "المنطق" في المجتمع والسلطة:

هذا المنطق "الغبي" هو السائد؛ وهو الذي حَكَم ويتحكَّم الى الآن في "الافعال وردودها"، سواء كانت أفعالا صادرة عن أشخاص أو جماعات أو دول، وهو الذي أفرز منظومات اجتماعية تفاقمت أزمتها، والتي هي في جوهرها وليدة هذا "النموذج الفكري الرسمي"، تجلَّى في عنف سلطوي حاد، والسلطة هنا بمفهومها "الشيئي" لا "الاستراتيجي"، كما أدى

الى تكريس الصراعات التنافسية من أجل امتلاك السلطة
وادواتها التي تعني "البقاء"؛ وسوّغ ذكورتها، فوضع الأنثى في
مرتبة دُنْيَا؛ مع تصوير ذلك على أنه قانون إلهي طبيعي؛ علاوة
على طغيان مبدأ المنفعة الآنية والمردودية المباشرة القائمة على
سلوك الكائن "الاستهلاكي"؛ كما شرّع الحروب والعنف
تحت ذريعة ادعاء امتلاك "الحقائق" المطلقة في مناخ
"ميتافيزيقي" مُبرَم.



انقلاب انطولوجي عودة للروح من جديد!

"أتودون أن تنعتقوا من براثن الشائنية؟ إذن فاقتلعوا
شجرتها، شجرة الخير والشر، من قلوبكم، اقتلعوها بجذعها
وجذورها كيما يتاح لبذرة الحياة الربانية، بذرة الفهم المقدس
المتسامي فوق كل خير وشر، ان تنمو وتثمر مكانها"¹
ميخائيل نعيمة

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، ص 319

وفيما تشهد البشرية اليوم، تسارعاً مضطرباً وصوراً جليّة،
توضح بأن العالم "مليء بالتناقضات" وأنّ المسافة بين الأضداد
قد تكاد تكون معدومة، فإن "المنطق الأرسطي" لم يعد يتماشى
مع تعقيدات المرحلة، التي أثبتت بأنّ ما تعاطى معه الكائن
البشري وقتاً طويلاً على أنه "قوانين ثابتة" هي في حقيقتها
ليست إلا عادات "فكرية ثقافية" مكتسبة تنتجها تفاعلات
البشر مع بيئتهم الثقافية والطبيعية بكل أبعادها الدهرية:
الزمانية والمكانية.

وبناءً عليه فإن ما تعاملنا معه على أنه "حقائق ثابتة"
ليس إلا "متغيرات" تتغير باختلاف مستويات الواقع المتغير
الذي تنتمي إليه، وما ثبات الأشياء الظاهرة إلى عين غيرها
وتبدلها؛ فهذه الرؤية تضعنا أمام مفهوم مغاير للحقيقة، وتجعلنا
نعيد النظر من جديد في مفهوم "كمال الحق"، وعندها ستنتفتح
أبواب الإبداع الإنساني على مصراعيها بعد أن أغلقه المناطقة
ردحاً من الزمن، عشنا فيه تحت وطأة عنف الثنائيات الضدية؛
وعندها لا مانع أن تجتمع المتناقضات على صعيد واحد،
كما تتجلى إمكانية اجتماع الصواب والخطأ في آنٍ واحدٍ وفي
قضيةٍ واحدة.

الامر الآخر ينعكس في مفهوم "الجزء والكل"، ففيما يكرّس "المنطق الأرسطي" مبدأ الفصل والتجزؤ، فإن وحدة الوجود تفتح أفقاً مغايراً عبر اتصال "الوحدة والكثرة"، فيكون الوجود نفسه هو سبباً لتعددية لا متناهية، وعلّة لتفاوت آحاد الماهيات، وإنّ للماهيات هويّات لا محدودة، وإن الاعيان متغيرة وإن كانت ثابتة؛ لأنه على الرغم من أنّ للكائنات صوراً "استقلالية" ولها ذاتيتها، غير أنّ الفصل بين الواقع المحايث (الموجودات) والواجد، أوقعنا في طريق مسدود ومنطق همّش البعد الأونطولوجي وحدّ من ابداع الكائن الإنساني عبر انتزاع البعد الروحي منه. هذا الفكر يجعلنا نعبر اشكالية "التاريخ والزمان" فنتجاوزها لأن الزمان لا يكون موجوداً إلا لانه "انقضى"!

انه انقلاب انطولوجي إذن، ربما سيجد الإنسان نفسه أمامه دون خيار منه! وهو تحييد لكل مفاهيمنا عن الزمان والمكان والإنسان والوجود والهوية!

انها رؤية كونية تُلهم الكائن الإنساني وترقى به إلى تخوم روحية إن كان للروح تخوم، وتضعنا على تماس بفضاءات فكرية لا متناهية.

نحو رؤية إنسانية كونية:

فلنهدأ إذن ونخرج من حلبة العنف ودوامته، لنغادر الواقع الى واقع آخر نبنيه وعياً وحساً وحدساً، ونطوي الزمان والمكان، فلتتجاوز الأفكار والمعتقدات، ولنعمل على تأسيس واقع ينبني على معرفة الكون الخارجي الذي يتناغم مع المعرفة الداخلية للكائن الإنساني، فكيف لنا كبشر أن نحلم بمجتمع راقٍ متناغم ونحن نعمل على إفناء الكائن الداخلي الروحي الكامن فينا؟؟؟ إنَّ اختلال التوازن المتعاضم، بين الروح و المادة بوصفها "مردوداً" تُعرض البشرية للتهلكة، فالتعامل مع الإنسان المختزل بالواقع المادي المبني على المصلحة المادية وربط قيمة الإنسان بمردوده وبالانتاج المادي فقط أدى و سيؤدي لا محالة إلا انهيار المجتمعات، لأن الروح بُعد أساسي من أبعاد تركيبة الإنسان.

فلنحترم الكون، ونحترم الطبيعة، ونحترم الكائنات، ونحترم ذواتنا بكل أبعادها، ولنحترم حرية أرواحنا، ولنغادر مستوى الواقع الدموي المحموم، إلى أفق مُشرق، يركزُ على الوعي المنبني على التطوُّر المتكامل للفرد روحاً ونفساً وجسداً وقلباً، والراقي بالفردى والمجتمعي، وفتح أفق غير محدود للمحبة والتسامح.

إننا ككائنات إنسانية نخيرون اليوم وأكثر من أيِّ يومٍ مضى، بين أن نتطوّر على المستويات كافّة، أو أن نتلاشى ونختفي في أتون الصرعات والحروب، وهذا التطوّر الذي تقف الإنسانية اليوم على حافته أشبه ما يكون بمخاض الولادة، ويرتبط بالدرجة الأولى بالعلم والوعي والثقافة وعلاقة الإنسان بالإنسان وعلاقة هذا الأخير بالكائنات. **أن تكون كائنًا كونيًّا، فهذا يعني أنك منبثق عن حضرة تكوين المكون¹، في هذه الحالة أنت تتساوى مع كل كائنات الكون أمام المكوّن، وعندما نحترم كينونة الكائنات الأخرى، سنتناغم تلقائيًّا مع ما يدور حولنا، فنحب الكائنات ونتوحد معها ونتجاوزها، لأن عملية التجاوز هي أساس الحرية والانعقاد.**

عندها سنجدُ أنَّ ما من شيءٍ وُجِدَ في الوجود والكون إلا تجلُّ وجوديٌّ ومظهرٌ من مظاهر التكوين، وأنَّ مامن شيءٍ إلا ويتغيّر

1 للمؤلفة بحث فلسفي بعنوان كلمة إنسانية في حضرة كونية، فصل "حضرة كُن" وفيه تتناول مفهوم التكوين كتجلُّ وجوديٍّ وأن طاقة التكوين المنبثقة عن الحبّة تتجلى بصدور الكثرة التي تحتوي مجموع الصفات الخلقية المعروفة بالصبغة الوراثية "دي.ان.اي" والصفات الحقيّة وهي "الصبغة الروحية" حيث تنطوي "الصبغة الالهية في الفطرة الإنسانية" وينسحب ذلك على جميع الكائنات. وفي ذلك اشارة لنص قرآني "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " سورة البقرة 138 وقوله: " اذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون " البقرة 117.

ويتطور في سيرورة مستمرة ونظام بديع، وتغدو كل المتناقضات والمتضادات مكمّلات لبعضها البعض بحسب مستويات الواقع التي تنتمي إليها، عندها سنعى أنّه لا يوجد تطابق تامّ بين الأشياء بل كلّ كائن حالة قائمة والحقائق متعددة بعدد الكائنات وهي تجلّيات لمظاهر قدرة الخالق، لعلّ هذه الرؤيا تفضي إلى عصر جديد للإنسانية، قوامها روح التواضع، ومشاعر الامتنان للمكوّن، والودّ والاحترام لكائناته ومخلوقاته، فتصبح عملية اعتداء الكائن الإنساني على الكائنات الأخرى أمراً متعذّراً.

مَعَ الرُّوحِ:

مِن رُوحٍ تَرصِدُ سِرِّيَّانَ المَكُونِ فِي الكَائِنَاتِ،
وَتَسْمُو لَتَلَامَسُ جَلَالَ جَمَالِهِ، فَتَتَقَلَّبُ فِي الوجودِ
وَنُورِهِ المَتَجَلِّي عَلَى المُمَكِّنَاتِ، يَدْخُلُ الذُّوقُ فِي
العَقْلِ وَتَتَأَلَّفُ المَادَّةُ مَعَ الرُّوحِ وَتَتَصَالِحُ الثَّقَافَةُ مَعَ
العِلْمِ وَيَذُوبُ الفَهْمُ فِي القَلْبِ، فَيَقَعُ الإِدْرَاكُ وَهُوَ
تَمَامُ الوَعْيِ عِنْدَ المَسْتَنِيرِ وَيَتَوَحَّدُ مَعَ الكَوْنِ تَوَحُّدَ
اتِّصَالٍ غَيْرِ مُنْفَصِلٍ عَنِ الكَثْرَةِ وَتَنوعِهَا فِي
الكَائِنَاتِ، إِنَّهَا طَمَآنِينَةٌ صَمَتٌ حَيْثُ الكَلِمَةُ الَّتِي
لَا تَعْرِفُ التَّخَوُّمَ وَالسَّلَامَ السَّرْمَدِيَّ حَيْثُ التَّوَازُنَ
الكَامِلَ وَالانْعِتَاقَ التَّامَ.

خاطرة: فلك النون¹

إِلَّا مَنْ هَوَى لَأَدْنَى مِنَ الْقَوْسَيْنِ.. لِمَرْجِ النَّهْرَيْنِ بَيْنَ أَجَاجٍ
وَعَذَبٍ...

لا بَاب "عند" ولا مَعْبَر "إلى".... وَتَتَمَزَّقُ الْأَنْوَارُ فِي كَفِّ عَتِيقٍ...
طُيُورٌ فِي فَلَكَ الْحَقِيقَةِ تَدُورُ... تَلْتَقِطُ كُلُّ الْعُيُونِ وَتَنْكَشِفُ...
أَفْرُدُ جَنَاحًا وَأَمْكُثُ غَيْرَ بَعِيدٍ... بَيْنَ مَعْلُومٍ وَمَجْهُولٍ.....
فَلَا السَّائِقَ كَانَ وَلَا اللَّوَّاحِقَ تَكُونُ...
الْأَنْهَارُ بِلا سَبَبٍ جَارِيَاتٍ.... وَالسَّمَاءُ عَارِيَةٌ عَنِ الْحُدُودِ...
ودهشة التأمل فنَّ الأزل، وبرزخ القوسين في نقطة النون!

1 هذه قصيدة للمؤلفة منشورة في ديوانها: لوامع من بقايا الذاكرة، دار الدوسري، المنامة، البحرين، 2010 ص 59، والنون هي "نون التكوين".



كونية الإنسان و وحدة الوجود تعددية الواحد و وحدة الكثرة

"ثمة تعددية متنوعة وكثرة ظاهرية في الوجود وثمة وحدة شاملة
أيضًا. والوجود في جوهره وحدة في كثرة وكثرة في واحد" و"الروح
هي وحدة كلية الأشياء، هي الكل الذي يشتمل على الكل."
ندرة اليازجي¹

1 ندرة اليازجي: ثقافة الحوار والتسامح، مرجع سابق ص 33؛ وايضًا: المشروع الفكري
المنشور في معابر، ديسمبر 2008.

"ليس الإنسان بكلّ ما فيه من عوالم سوى وحدة كاملة"

ميخائيل نعيمة¹

"يسير الإنسان نحو الكمال عندما يشعر بأنه هو الفضلاء

ولا حدّ له"

جبران²

"الذي يرى كل شيء في آتما، في الروح اللانهائي، ويرى

الروح اللانهائي في كلّ كائن، هو من الآن فصاعدًا منعتق"³

الأوبانيشاد⁴

"عندما يثبت الفكر صافيًا في وحدة الأشياء، تتلاشى

الثنائية من تلقاء ذاتها. إن الشيء هو شيء للموضوع

وإن الموضوع هو موضوع للشيء؛ ألا فاعلموا أن نسبة الاثنين

تكمّن في النهاية في وحدة الفراغ. الكل في الواحد والواحد

في الكل."

تاو هسان¹

1 ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، مرجع سابق، ص 102

2 جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، الأعمال العربية الكاملة، دار ومؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، ط 2008، ص 373.

3 طاغور، ديانة الشاعر، مرجع سابق، ص 82.

4 الأوبانيشاد التعاليم الأساسية لفلسفة الفيدانتا الهندية عند الهندوس.

يُشكّل وجود الكائن الإنساني إشارةً إلى كينونة مُستترة في أعماق الكون، ولما كان الكيان الموجود مرتهن بالظهور المادي ناهيك عن الوجود الروحي، فقد شكّلت قضية المعرفة سؤالاً شغل الإنسان على مر العصور؛ بل وأمست وجودية الإنسان رهناً له.

وقد حاول الإنسان فهم المعاني والحقائق التي يمثّلها وجوده من خلال وسائل شتى، فطُرقت المسألة المعرفية تاريخ الفلسفة بوجوه عدّة ومن خلال درجات ومستويات متفاوتة سواء بشكلها الانطولوجي الغيبي أم ببعدها الاجتماعي.

ومن هنا، فإن الإنسان عندما تأمل محيطه الطبيعي أصبح الكون موضوعاً له فتعاطى معه على أنه ذاك الجزء الخارجي المنفصل عنه، الأمر الذي أشعره بالعجز حيال قوة اعتبرها القاهرة له خارجة عن سيطرته، هذا العجز كرستّه الأساطير والميتولوجية القديمة أيضاً.

وجاء الفلاسفة والمفكرون فيما بعد ليكرّسوه من خلال طروحات ارتكزت على مبدأ الفصل التام بين الإنسان كذات

1 تاو - هسان Tao-hsin: بوذي من معلمي الزن ؛ من قصيدة رائعة بعنوان: حول الفكر المؤمن.

والكون كموضوع، واضعين بينهما برزخاً وحداً لا يبغيان، فاصلين بين جواهر الأشياء الوجودية معتبرين إن كل واحدة منها كيان منفصل.

وانبثق عن هذا الطرح أو واكبه فصل "الأطراف" أو الثنائيات، سواء منها الثنائيات اللاهوتية "الخير والشر، الحق والباطل"... أو الثنائيات الضدية "الظلام والنور"... أو الثنائيات الاجتماعية والطبقية "ظالم ومظلوم، حارم ومحروم"... واعتبرَ دوماً أن للعصا طرفان. وتولد عن التضاد والتصنيف الثنائي سائر أشكال الصراعات والعنف وأدى هذا الفهم المنبني على مبدأ الانفصال بين الكائن الإنساني والكون بوصفه الخارجي، إلى تمرد الذات على تعددية الوجود أو ثنائيته على الأقل.

وتحولت الذات البشرية إلى مُفعلة غاضبة تُحاول أن تستجلب الأثواب الدينية والقوالب العقائدية والاتجاهات الفكرية وتُسخر العلم من أجل صب جام غضبها على ذاك "الآخر" الخارج عنها الذي يستحق "التأديب" أو الترويض أو "الإلغاء" كونه يمثل شراً مستطيراً لا بد من اقتلاعه، سواء كان هذا الآخر ذاتاً مجتمعية أو أي ذات خارجة عنه تنتمي للطبيعة كالحوانات والبيئة.

وأُمت "الأنا" في صراعٍ مع "الأنوات" الأخرى التي لا ترى في غيرها إلا "أعداء" يحكون لها المكائد ويدبرون الدسائس، وأصبح الفكر البشري يدور في دوامة الخطأ المطلق والصواب المطلق.

إن فكرًا كهذا كثير الثرثرة ومولّد للعنف؛ لأنه على جهوزيّة تامّة لصناعة الصور الموائمة لتصوره الذي يستند على "الخير والشر" القائم في خيلته، وهو حاضر لإطلاق الأحكام لما هو صائب وخاطئ، وهو على أتم الاستعداد لأن يسوق سائر المبررات فيلبسها الأثواب السياسية والدينية والمجتمعية والمصلحية؛ ويسوّغ العنف ويجعله حتميًا، وهو عنف لا يخفى إلا عن إنسان عاجز عن فهم ناموس الطبيعة والحياة.

إذن يحتاج الإنسان لفكر مغاير لا ينطلق من مبدأ الفصل، بل ينطلق من فهم الكون؛ فهما داخلياً بوصفه جزءاً منّا نحن البشر وفهم وجودنا من خلاله، و يطرح في الوقت نفسه تعددية تحلّ محلّ البعد الواحد للفكر الكلاسيكي، وتُعد نظرية "وحدة الوجود" في الفلسفة من أهم النظريات التي خلخلت بنيان "الثنائي الميتافيزيقي" من خلال ردّ الكثرة إلى وحدة كليّة شاملة.

خاطرة: 1

مِنْ بَرِيقِ رُوحٍ تَصَوَّفَتْ فِي مِحْرَابِ وَحْدَةِ الْوُجُودِ... وَتَدَثَّرَتْ
 بِرِدَاءِ كَوْنِي... وَعَبَّرَتْ بِرِزْخِ إِشْرَاقِي...
 لِلْعَاقِلَاتِ الْمَتَفَتِحَةِ الْإِنْسَانِيَةِ مِنِّْي " لَوَامِعُ مِنْ بَقَايَا ذَاكِرَةٍ...
 تُطَلُّ إِلَى الْأَبْدِيَةِ... وَتَخْطُ شَاخِصَاتٍ عَلَى دُرُوبِ الْحَيَاةِ...
 تُفْصِحُ مِنْ خِلَالِهَا رُوحِي، عَنْ بَعْضِ تَجَارِبِهَا الْمَعْمَدَةِ بِجَمَالِ
 الْوَاجِدِ وَبِهَائِهِ...
 مُحَاوَلَةٌ تَرُوي الْقُلُوبَ التَّوَّاقَةَ لِمَعْرِفَةِ الْحَقَائِقِ الْمَغْرُوقَةِ فِي الْقَدَمِ،
 وَتَرْتَقِي بِنَفْسٍ عَرَفَانِي...
 لَا يَرَى فِي الْكَوْنِ إِلَّا كَائِنًا وَاحِدًا يَتَنَاغَمُ كُلُّ مَا فِيهِ تَنَاغَمًا غَيْرَ
 مَنْقَسَمٍ مَعَ الْحَقِّ الْأَسْمَى.....
 فَمَا الْكَائِنَاتُ فِيهِ إِلَّا تَجَلِّياتُ خَالِدَةٍ تَدُورُ فِي فَلَكَ الْوَحْدَةِ: وَحْدَةِ
 الْكَائِنَاتِ، وَوَحْدَةِ الْكَوْنِ، وَوَحْدَةِ الْمَكُونِ....
 وَحْدَةٌ تَنْعَكِسُ فِي الْكَوْنِ كَثْرَةُ وَدَوَائِرُ سَلْبَجَةٍ... وَتَعُودُ الْكَثْرَةُ
 لَتَنْطَوِي فِي نَقْطَةِ نُونٍ " التَّكْوِينِ " مَحُورِ الدَّائِرَةِ!

1 هذه الخاطرة للمؤلفة من مقدمة ديوانها: لوامع من بقايا الذاكرة، وفيه نصوص أدبية تترجم رؤيتها للإنسان والكون والسلام، ص 7.



الإنسان و وحدة الوجود عند ابن عربي

"إنني نظرت إلى الكون وتكوينه فرأيت الكون كله شجرة وأصل نورها من حبة "كن" فإذا نظرت إلى اختلاف اغصان شجرة الكون ونوع ثمارها علمت ان أصل ذلك ناشئ من حبة "كن" بائن عنها"¹
ابن عربي²

1 محيي الدين ابن عربي، رسالة شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، دمشق، سوريا، 1985، ص 41 - 45.

2 محيي الدين أبو بكر محمد بن علي، المعروف بالشيخ الأكبر ابن عربي، ولد في مرسية بالأندلس 1165م وتوفي في دمشق 1240م، ويعد الشارح الأكبر للتصوّف وصاحب نظرية وحدة الوجود في الفلسفة الإسلامية.

إن مسألة كونيّة الإنسان ووجوديته، وعلاقته بالكون والكائنات، تجد لها تفسيراً رائعاً عند الكثير من مفكرين والفلاسفة القائلين بنظرية "وحدة الوجود" وإن كان لكل واحدٍ منهم أدوات ومرتكزاته الفكرية ومنطلقاته البنيوية التي استند إليها، إلا أنّ مسألة كهذه تبقى رهن "الذوق الفطري" للإنسان، وإن تراءت لنا من خلال نتائج شريحة كبيرة من الفلاسفة وحتى الأدباء؛ ومنها كتابات أفلوطين¹ القائلة بالفيض والصدور من خلال نظريته "التدرج الكوني" الذي يفيض عن الواحد كثرة وينتهي بالإنسان، ثم عودة هذا الإنسان في تجاوزه للكثرة الظاهرة إلى الأصل الواحد².

وينسب بعض المتابعين انعكاسات هذه النظرية في مفهوم وحدة الوجود عند ابن عربي الذي يُعد المحور المركزي الذي يدور عليه مذهب الشيخ الأكبر؛ يقول أبو العلا عفيفي "إن فكرة الوحدة تستولي على قلب ابن عربي فيفسر بها كل شيء في عالم الوجود"³.

-
- 1 أفلوطين Plotin وُلد في ليكوبوليس أسيوط اليوم في صعيد مصر عام 205. ومات بروما عام 270 بعد الميلاد. توصف فلسفة أفلوطين بأنها تأملية ويرى أن العناصر الدنيوية ما هي إلا صور لمثيلها الحقيقي الأعظم والأسمى.
 - 2 أفلوطين، التساعية الرابعة، في النفس، تحقيق ودراسة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1970، ص 27 - 28.
 - 3 محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكية، مقال أبو العلا عفيفي، ص 167.

منعاً لأي لبس

وحدة الوجود ليست الحلولية:

كثيراً ما يلتبس مفهوم وحدة الوجود عند الناس وحتى عند بعض المثقفين الذين يترجمون "وحدة الوجود" بالمصطلح الغربي Pantheism وهو مذهب الحلولية وفي ذلك غلط كبير. ويشير الباحث ديميتري أفيرينوس¹ بالقول: "كثيراً ما التبتت مذاهبُ المشرق الباطنية جميعاً (كما وبعض مذاهب الغرب) على الباحثين الغربيين "البرانيين" (وعلى "المتغربين" من أبناء الشرق أيضاً) بمذهب الحلولية Pantheism. غير أن الحلولية لا تصادف في الواقع إلا في حالة عدد من الفلاسفة الأوروبيين وبعض الشرقيين ممن تأثروا بالفكر الغربي في القرن التاسع عشر؛ فالحلولية نشأت عن النزعة الفكرية عينها التي تفتقت، أولاً، عن المذهب الطبيعي Naturalism، ومن بعد، عن المذهب المادي Materialism الحديث.

يقول سيد حسين نصر: أما ما أغفله النقاد ممن يهتمون الصوفيين بـ "الحلولية" فهو الفرق بين التوحيد الذاتي بين الوجود الظاهر ومبدئه الوجودي وبين عينيهما واستمرارهما الجوهرية.

1 ديميتري أفيرينوس، الرسالة الوجودية لابن عربي، دراسة، سماوات، 30 أكتوبر 2009.

وهذا المفهوم الأخير مُحال عقلاً، ويتناقض مع كل ما قاله محيي الدين والصوفيون الآخرون في خصوص الذات الإلهية.¹

إن الحلول Pantheism معناه امتصاص المبدأ في تجلياته بحيث يصبح لمكوّن أسير كائناته؛ وكأنه هي هو من كل وجه في حين أن وحدة الوجود تترجم Unity of Being² التي تختلف اختلافاً كلياً عن عقيدة الحلول، وإن وجدت بين كلا النظريتين نقاط مشتركة.

يقول نهاد خياطة: "النظريتان تتقاطعان عند اعتبارهما أن الله والعالم كينونة واحدة، وتتفارقان من حيث إن عقيدة الحلول تنفي ثنائية الحق والخلق، على حين أن وحدة الوجود التي قال بها الشيخ الأكبر تعترف بثنائية الحق والخلق وتنفيها في نفس الوقت. فهي تحافظ على الثنائية فيما تقول بالوحدة، وتحافظ على الوحدة فيما تقول بالثنائية. أي أنها ثنائية في وحدة، أو وحدة في ثنائية؛ لكنها تمنح الوحدة قيمة مطلقة والثنائية قيمة نسبية."³

1 سيد حسين نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، ترجمة صلاح الصاوي، مراجعة ماجد فخري، دار النهار، بيروت، لبنان، 1986، ص 138.

2 بعض المعاجم والموسوعات تترجم مصطلح وحدة الوجود Pantheism وفي ذلك خطأ فيرجى التنبيه للأمر أثله البحث والدراسة والافضل اعتماد ترجمة وحدة الوجود: Unity of Being أو بالفرنسية Unicité de l'Être.

3 نهاد خياطة، التصوّف الإسلامي بين وحدة الشهود ووحدة الوجود، دراسة، معابر، الاصدار الثالث، الربع الثاني من عام 2001.

الإنسان بين الوحدة والثنائية والكثرة:

يقول ابن عربي بوصفه لآدم الإنسان: انه "الحضرة الجامعة الشاملة لجميع الاسماء الالهية (الكثرة) كما هو جامع بحقائق الأكوان كلها"¹؛ فابن عربي يميز بذلك بين الحضرة التي تنتمي للغيب المطلق وبين الحضرة الهية التي تتجلى من خلال الكائنات والاسماء الكثيرة التي لا حصر لها.

"و حضرة الواحدية، هي الحضرة (أزلية الآزال) الأولية المطلقة التي لاتعدد فيها (الوحدة)؛ اما "الأزلية الالهية فهي متعددة بتعدد الأسماء والأسماء لا تحصر كثرتها"²

والحضرات عند ابن عربي خمس³ هي:حضرة الغيب المطلق وعالمها عالم الأعيان الثابتة في الحضرة العلمية؛ وحضرة الشهادة المطلقة وعالمها عالم الملك؛ وحضرة الغيب المضاف وعالمها عالم الأرواح الجبروتية؛ وحضرة الملوكوت وعالمها عالم النفوس المجردة والعقول؛ وحضرة الإنسان الجامع وهي الحضرة الجامعة للحضرات الأربعة.

1 محي الدين ابن عربي، كتاب: نسخة الحق، مجموعة رسائل ابن عربي، الجزء الأول، تحقيق: سعيد عبد الفتاح، دار الانتشار العربي، بيروت 2001 ص 273

2 محي الدين ابن عربي، رسالة أسرار الذات الإلهية، مجموعة رسائل ابن عربي، المرجع السابق، ص 199 - 200.

3 سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1981

أما عن مفهوم الثنائية في الحياة فيقول في حوار مفترض بين اثنين:

"من سرائر معلوم الكونين والصورتين... صورته له وجهان..."

يابني (الإنسان) انت جامع القبضتين... وحامل الصورتين..."

- فلخبرني عن السر الذي يرد المعادن الى معدنين..

"ان الأشياء المنفعلة انما تبعث من فاعلها على حقيقة

وجوده في الأعيان، وأبين ما يكون ذلك في الإنسان"

- وعن الامر الذي يرد المعادن الى معدنين

"الامر موقوف على معرفة الحكمة"¹

هذا الحوار يكشف ان الخبرة العرفانية المؤدية الى معرفة الحكمة هي السبيل لفهم المتناقضات والعلاقة المتفاعلة بين الوحدة والكثرة؛ "إن بسط العلاقة بين اللامتعيين والمتعين، كواقع من وقائع الخبرة العرفانية للحقيقة، يعين البنيان الكلّي لوحدة الوجود: فهي مذهب خاص يقوم على رؤيا إلهية يختبرها الصوفي بوصفها التفاعل بين الوحدة والكثرة."²

1 محيي الدين ابن عربي، كتاب شق الجيب بعلم الغيب، مجموعة رسائل ابن عربي، تحقيق سعيد عبد الفتاح، مرجع سابق، ص: 322 - 325.

2 ديميتري أفيريبنوس، حكيم المشرق والمغرب، مقدمة موجزة لدراسة حياة الشيخ الأكبر ومذهبه، سماوات، 3 سبتمبر 2009.

لذلك فإن الشيخ الأكبر يُعلق أمر كمال الإنسان بوصفه جامعاً لحقائق الأكوان كلها من خلال روحانيته، ويقول "مقتضى الزوجية (الثنائية) إثبات الشيء باللون (بالنوع)، ومقتضى الروحية (علم التضاد) إيجاد الشيء بالكون (بالوحدة)".¹

وان الإنسان الرائي المستنير هو ذاك القادر على ردّ القسمة والكثرة الكاثرة الى وحدة، وان تمام المقام الإنساني اي تحقيق الإنسانية الكاملة، يكون عبر التّامّ المقسوم المتبلور في الثنائيات "الزوجية" التي هي صفات عارضة لتحقيق الوحدة الكامنة في الجوهر؛ فـ "الزوجية في الأجناس والفردية في الجواهر"² كون جوهر الاجناس واحد وكل موجود هو تجل للواجد. فـ "الروح في النور جوهر لا يتجزأ" وهو الذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً³ "مورد القسمة (الكثرة) هي النفس الواحدة (الوحدة)".

1 محي الدين ابن عربي، كشف سرّ الوعد وبيان علامة الوجد، رسائل ابن عربي، شرح مبدأ الطوفان، تحقيق: قاسم محمد عباس، حسين محمد عجيل، منشورات المجمع الثقافي،

ابو ظبي، الإمارات، ط 1، 1998 ص 342

2 المرجع السابق نفسه، ص 258.

3 سورة النساء، الآية 1.

و"الواحد هو مُفتح العدد، ذو الوجه الباقي وكل شيء هالك إلا هو؛ الواحد يُعبر على الأعداد فيهلك كل شيء دونه"¹.

و"كل موجود له عينه الثابتة في الأزل يظهر وجوده الخارجي بمقتضاها"² فالعالم ليس سوى تجلي الحق في صور الأعيان الثابتة التي يستحيل وجودها بدونه وفق رؤية الشيخ الأكبر.

يشير ديمتري أفيريونس في مقاله حول "الرسالة الوجودية عند ابن عربي": "إن الأحدية التي تغيب فيها الكثرة الكونية أو تنعدم لا تتناقض البتة وفكرة عدد غير محدود من مراتب الوجود: فهاتان الحقيقتان، على العكس، وثيقتا الصلة إحداهما بالأخرى. وهذا ينجلي بمجرد أن يُنظر في الكمال الإلهي "من خلال" كلٍّ منهما: إذ ذاك فإن الكامل، إن صحَّ التمثيل، "يضيق" أو "يتسع" بحسب ما يُنظر إليه إما في تعينه المبدئي، أي الأحدية الذاتية، وإما في انعكاسه الكوني، أي طبيعة الكون

1 محيي الدين ابن عربي، المقدار في نزول الجبار، رسائل ابن عربي، المرجع السابق نفسه ص265.

2 محيي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق وشرح أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، ط2، 2002 ص: 23 - 61.

الذي لا تنضب تجلياته ولا تنفك تتعين. يدل على ذلك قول
الشيخ الأكبر:

خالق الأشياء في نفسه
أنت لِمَا تخلقُه جامعُ
تخلق ما لا ينتهي كونه في—
ك فأنت الضيقُ الواسعُ¹



1 ديميتري أفيرينوس، الرسالة الوجودية لابن عربي، المرجع السابق المقال نفسه.



رهانات الأمل

في تصالح المادة والروح والتآم الانشطار الوجودي

" لقد فتح العالم قلبه النوراني هذا الصباح.
فاخرج قلبي، إلى لقائه بمحبتك¹"

طاغور

إن المصالحة بين العلم والثقافة والروح واجبٌ حضاري
وإنساني يضعنا أمام مسؤولية طرح رؤية جديدة منفتحة على

1 رابندرانات طاغور، طيور شاردة، مرجع سابق، ص 38.

الوجود، تحدد علاقة الإنسان بالإنسان، وعلاقة الإنسان بالكون، وما يتمخض عنهما من مفاهيم جديدة عن الزمان والمكان، بحيث يصبح العلم أداةً إيجابيةً تحقق مزيداً من الانسجام بين الكائنات والكون، وتصبح التقنية إستراتيجية لتحقيق كفايات الوجود، وبذا تتحول من نمط إنتاجي إلى تجلٍّ وانكشاف، فيغدو الإنسان مستودعاً للطاقة الكونية، لا هوية ضيقة له، ويصبح الانفتاح الدائم صفة ملازمة لوجوده.

في ظل هذه الرؤية، فإن إرادة السيطرة لا يكون لها معنى بتاتاً إلا في ذاتها، فتتلاشى الصراعات. كما أن إشكاليات العلم والمعرفة والحقيقة والسياسة والسلطة تتخذ معاني أخرى. ولن تعود المسألة مسألة تحديد مواقع الحقيقة؛ بل إن مفهوم "الحقيقة" ذاته سينعكس في مجموع الإستراتيجيات والسيرورات التي يتم بفضلها إنتاج القيم وتحديد نظام الخطاب وسياساته.

يقودنا هذا الطرح إلى إعادة النظر في مسألة علاقة العلم بالخبرة الروحية للكائن الإنساني، وذلك لأن الروح هي المحفز للانطلاق في عالم التطور: فالوعي الكوني هو الذي يُمِدُّ الكائن بالفكر والحدس؛ والروح هي التي تعبّر عن واقع الحياة وانطلاقها لبلوغ ذروة الإبداع بفعل الطاقة الكامنة فيها، متجاوزةً بذلك كلَّ

انغلاق مادي، محققةً تطوراً مستمراً وحرية لامتناحية. وأولى الخطوات في هذا الاتجاه تتجلى من خلال رَأْب الصدع بين الثقافة والعلم وبين العلم والروح، لأن جوهر المظاهر المادية، ليس إلا تجلياً للروح في كليتها على مستوى كوكبنا الأرضي.

وهنا يتحقق وجود الإنسان من خلال مرتكزين أساسيين هما: المرتكز العلمي، و المرتكز القيمي الأخلاقي الروحي. فإذا تمّ للإنسان ذلك، يتخطى أنانيته ويسخر العلم لخدمة الوجود والكون، فيتناغم مع الكليات، و"يرى" عن طريق العلم الوجود في كثرته، وتنوع صور تجلياته وتفاعلاتها العلمية، كما "يرى" بالروح أن الوجود كلُّ متكامل موحد¹.

هذا التكامل بين العلم والروح هو ما يمكن لنا أن نسميه بـ"وحدة الكثرة"، وهي الوحدة القائمة على التعددية والتنوع من خلال ضمّها الوحدات الأخرى وجمعها، لكن دون أن تحتزلها. وفي هذا المنحى، فإن الإنسان الكوني التعددي ليس مَنْ يتقن لغات عدة ويطلع على ثقافات متنوعة، بل هو الكائن الذي يوحد بين الثقافات، بحيث يتمتع بالقدرة على اكتناف التنوع ضمن كينونته الإنسانية نفسها.

1 Dominique Terré-Fornacciari. *Les Sirènes de l'irrationnel: quand la science touche à la mystique*. Albin Michel. Paris. 1991.

إن الانطلاق من رؤية تفترض وحدة الجوهر والأصل والنسبية القائمة في جوهر المكونات الوجودية تفترض مفهوماً آخرًا للتعددية؛ لأن التعدد بهذا المفهوم ليس فصلاً في الأصل بل هو تعداد في إطار لحمية تكاملية فيصبح التعدد لا متناهي كما الأرقام كلما أضيف لها عدد تحولت إلى عدد جديد.

إنها رؤية جديدة تفتح أفقاً آخرًا عبر فهم التعددية "الكثرة" المعقدة في إطار "وحدة" وجودية منفتحة من خلال الواقع، فعملية فهم الكون بوصفه علماً كوانتياً مؤلف من ذرات وجزيئات تحكمها مستويات طاقة تؤدي للترابط بينها، يمرّ بخبرة عملية معاشة ويجعلنا نُعيد اكتشاف العلم الذي يستند على النظرية والتجارب في كينونتنا نفسها، فنعي وجودنا بمستوى إدراك مغاير يتناغم فيه المعرفة بمستوياتها وبطبقات الواقع المتغيرة.

يقول ندره اليازجي عن كثرة الوحدة: "تبدو هذه الحقيقة وكأنها سلسلة محكمة من المستويات المتكاملة والمتصلة التي تبدأ من الأدنى وتنتهي في الأعلى لتتطوي على ذاتها في دائرة. ومن جانبي، لا أستطيع أن أحلّد الأعلى بأكثر من قولي: إنه لا نهاية كبرى، وكذلك، لا أستطيع أن أعرف الأدنى بأكثر من قولي: إنه لا نهاية صغرى. وبين هاتين اللانهايتين توجد لانهاية ثالثة هي عقدة لقاء هاتين اللانهايتين في الإنسان. ففي الإنسان تلتقي هاتان اللانهايتان."¹

1 ندره اليازجي، ثقافة الحوار والتسامح، مرجع سابق ص 34.

عندئذ لا يكون الكون موضوعاً والإنسان ذاتاً، بل الواقع يشمل الذات والموضوع في آن معاً، وتنصهر الذات في كونيتها ووحدة وجودها أصالةً، وعندها تتحقق كونية الإنسان الذي يتلمس سرّ الوجود ويعقل الحقائق المستترة في سرّانيته وسريره لأنها كل واحد فينطوي في الكون والكون منطو به.

ويرتكز على هذا الطرح حرية لحدود لها، كونه لا يعرف تضاداً لأنه تحرر من الثنائيات كلها فلا خير ولا شر ولاحق ولا باطل.... ولا وجود لمقرب تام ودائم، ولا تناقضات تامة، بل هناك دوماً مستوى مغاير ثالث يحقق عدم التناقض، وهو أمر يؤسس لنظرة جديدة تجاه أي سلوك مجتمعي وعقدي ويغير مفهوم "السلطة" التي تنتفي حكماً بحكم تعدد المراجع.

إن طرح مفهوم الإنسان الكوني عبر استلهم الحكمة تنطلق من إعادة اكتشاف وجد الوجود من خلال ما هو موجود بمعايير المثل المتسامية، فالمكون هو محور الجذب المطلق في الكون، وما وجد في الكون الا كائنات انبثقت عنه، وان كل ما تولد من كائنات يدور في الفلك الكوني و مكوّنه و "يعبه" على طريقته الخاصة به، وبما أننا كائنات إنسانية فان تجليات استعدادات امكانياتنا الروحية تبدو اكثر وضوحاً بالنسبة لنا؛ فالإنسان مجبول على العبادة لأنها مفطورة فيه،

ومن ثم فإن التعبير عنها من خلال الطقوس او المعتقدات ليس سوى تجلٍ لما يناسبه من استعدادات.

فما عبادة الأمم وشرائعها وأديانها إلا إبداع لوحى الكونية الذاتى، ونابع من تلقائية إدراكها له. وبما ان المكون غير متنه، لهذا وجدت كل أمة فيه ما هو مناسب لاستعدادها الخاص.

وما تنوع الديانات إلا تجلٍ للحقيقة الوجودية ودرجة من درجات إدراكها فى الوقت نفسه، وبناء عليه فإن الديانات لا يُنظر إليها بمعايير "المؤمنين" و"الكفار" فالكل مؤمن أصالة، ولاتقاس الامم عندها بمقاييس الشرائع، فالإقرار بالتنوع نابع من سموّ الروح ومكون أساسى فى هوية الإنسان الكونى، الذى يجعل القلب كيانا قادرا على التنوع فى الصور واحتواءها فى الوقت نفسه.

عندها تتحول الأديان وكتبها والطبيعة وما فيها إلى تجليات للمحبة، باعتبارها سر من أسرار الوجود، فهى التى تمنح لكل ذرة معناها الخاص بوصفها نسبة فى نظام المطلق، وما رجوع الكائن الإنسانى الى نفسه الا رجوعا الى معالم روحه المطلقة.



"لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي
إذا لم يكن ديني إلى دينه دان
وقد صار قلبي قابلاً كل صورة
فمرعى لغزلان ودير لرهبان
وبيت لأوثان وكعبة طائف
وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت
ركائبه فالحب ديني وإيماني
ابن عربي



لتكن آخر كلماتي أنى أثق بمحبتك!
طاغور



المصادر والمراجع

- أفلوطين، التساعية الرابعة، في النفس، تحقيق ودراسة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، 1970.
- أنتوني دو ميلو، أغنية الطائر ترجمة أديب خوري، سلسلة الحكمة 3، دار إيزيس، دمشق سوريا، ط 2000
- بسراب نيكولسكو، بيان العبرمناهجية، ترجمة: ديمتري أفيرينوس، سلسلة آفاق2، مكتبة إيزيس، دمشق، سوريا، ط 2000
- بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط 2 1990.
- تساي شي تشين، لاو تسي، سلسلة الحكماء يتكلمون، دار النشر لتعليم اللغة الصينية، بكين، الصين، 2008.
- تيك نات هانه، المحبة في العمل، كتابات حول التغيير الاجتماعي اللاعنفي، ترجمة غياث جازي، تدقيق أكرم أنطاكي، دار معابر، سوريا، دمشق، 2008.
- ثامر كامل محمد، الأخلاقيات السياسية للنظام العالمي الجديد ومعضلة النظام العربي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبوظبي، 2008.
- جان ماري مولر، استراتيجية العمل اللاعنفي، ترجمة ماري طوق، مراجعة أنطوان طوق و وليد صليبي، حركة حقوق الناس، بيروت، لبنان، 1999.
- جان ماري مولر، قاموس اللاعنف، ترجمة محمد علي عبد الجليل، مراجعة ديمتري أفيرينوس، إصدار مشترك بين معابر للنشر في دمشق و الهيئة اللبنانية للحقوق المدنية في لبنان، 2007.

- جبران خليل جبران، رمل وزبد، الأعمال المعربة الكاملة، دار ومؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، طبعة عام 2008.
- جبران خليل جبران، البدائع والطرائف، الأعمال العربية الكاملة، دار ومؤسسة رسلان، جرمانا، سوريا، طبعة عام 2008.
- جبران خليل جبران، النبي، تقديم جميل جبر، دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت لبنان، ط 2004.
- جودت سعيد، كن كإبن آدم، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1997.
- جودت سعيد، الدين والقانون، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1998.
- جودت سعيد، الإنسان كلا وعدلا، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا، 1993.
- جدو كريشنامورتى، التأمل، ترجمة وتقديم: ديميتري أفيريونس، معابر للنشر، دمشق، 2008.
- ديفيد مكريولدرز، فلسفة اللاعنف، ترجمة ديميتري أفيريونس، معابر للنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، ط 1، 2009.
- رابندرانات طاغور، ديانة الشاعر، ترجمة موسى الخوري و غسان الخوري، دار الغربال، دمشق سوريا ط 1988.
- رابندرانات طاغور، طيور شاردة، ترجمة ديميتري أفيريونس، سلسلة الحكمة 1، دار إيزيس، دمشق، سوريا، 1998.
- علي حرب، تواطؤ الأضداد، الآلهة الجدد وخراب العالم، منشورات الاختلاف، ط 1، 2008.
- علي حرب، حديث النهايات، فتوحات العولمة ومآزق الهوية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط 1، 2000.
- سعاد الحكيم، المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، دندرة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1981.

- سيد حسين نصر، ثلاثة حكماء مسلمين، ترجمة صلاح الصاوي، مراجعة ماجد فخري، دار النهار، بيروت، لبنان، 1986.
- كاثرين انغرام، على خطى غاندي، ترجمة أديب الخوري ومراجعة ديميتري أفيريونس، دار معابر للنشر، دمشق، سوريا، 2008.
- ليف تولستوي، مختارات من كتاباته الفكرية والفلسفية، ترجمة هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق 2009.
- محمد أركون: الفكر الأصولي واستحالة التأصيل، نحو تاريخ آخر للفكر الاسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقى، بيروت، لبنان، 1999.
- المهاتما م. ك. غاندي، كتابات وأقوال، ترجمة: أكرم إنطاكي، تدقيق: هفال يوسف، معابر للنشر، دمشق، سوريا، 2009.
- المهاتما م. ك. غاندي: سيرة ذاتية، قصة تجاربي مع الحقيقة، ترجمة منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان 1973.
- ميخائيل نعيمة، كتاب مرداد منارة وميناء، ط 9، دار نوفل، بيروت لبنان 2001
- هنري برونل، أجمل حكايات الزن، ترجمة محمد الدنيا، مراجعة: محمود رزوقي، سلسلة إبداعات عالمية، العدد 353، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، أبريل، 2005.
- محيي الدين ابن عربي، رسائل ابن عربي، 3 أجزاء، تحقيق، سعيد عبد الفتاح، دار الانتشار العربي، بيروت، لبنان، 2001.
- محيي الدين ابن عربي، رسائل ابن عربي، شرح مبدأ الطوفان، تحقيق: قاسم محمد عباس، حسين محمد عجيل، منشورات الجمع الثقافي، ابو ظبي، ط 1، 1998.
- محيي الدين ابن عربي، فصوص الحكم، تحقيق وشرح أبو العلا عفيفي، دار الكتاب العربي، ط 2، 2002.

- محيي الدين ابن عربي، الفتوحات المكيّة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 9 أجزاء، 1999.
- محيي الدين ابن عربي، رسالة شجرة الكون، تحقيق رياض العبد الله، دمشق 1985.
- ندره اليازجي، ثقافة الحوار والتسامح، مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا، 2008.
- ندره اليازجي، فلسفة الإنسان الثائر، دار الغربال، دمشق، سوريا ط 2، 1995.
- ندره اليازجي، العقل من منظور العلم والحكمة، مطبعة اليازجي، دمشق، 2009.
- ندره اليازجي، العنف واللاعنف في الطبيعة و الإنسان، مطبعة اليازجي، دمشق، سوريا، 2008.
- نصر حامد أبو زيد، النص والسلطة والحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006.
- **Basarab Nicolescu**, La transdisciplinarité (manifeste), Éditions du Rocher, Monaco, 1996
- **Edward De Bono**, Conflicts, Aitken & Stone Ltd, London UK 1997.
- **Dominique Terré-Fornacciari**, Les Sirènes de l'irrationnel: quand la science touche à la mystique, Albin Michel, Paris, 1991.
- **G. Burdeau**, Méthode de la Science politique, Paris; Dalloz 1959.
- **Isabelle Stengers**, La guerre des sciences aura-t-elle lieu?, Les empêcheurs de penser en rond, Paris, 2001.
- **Jean-Marie MULLER**: Dictionnaire de la non- violence- les Edition du Relié ; France ; 2005.

- **L. freedman & E. Karsh**, the gulf Conflict 1990 – 1991 – London: Faber & Faber, 1993.
- **LAO ZI says**, Sinolingua, Beijin , China , 2008.
- **Osho** , Creativity: Unleashing the Forces Within , Insights for a New Way of Living, Osho international foundation, NY , USA, 1999
- **Pierre Bourdieu**: Langage et pouvoir symbolique: Coll. Points, éd. Le Seuil 1982
- **Martin Luther King**: La seule revolution – Casterman – 1968
- **Michel Foucault** ; les mots et les choses ; Gallimard ,1966
- **Nietzsche**, Humain, trop humain, T1, trd. R.Rovini. Idées Gallimard, 1968.
- **Nietzsche** :Généologie de la morale ; Trd. Henri Albert idée, Gallimard, 1964.

تقارير ومحاضرات ومقالات:

- أولففيه فيال، كلنا منشقون، مجلة خيارات لاعنفية، العدد 34، تموز 1979.
- البيان الصادر عن اجتماع رؤساء الكنائس المسيحية الاوروبية، الذي عقد في برلين بدعوة من مجلس الكنائس العالمي والمجلس الوطني لكنائس المسيح في اميركا إبان الحرب على العراق، 5 شباط فبراير 2003.
- جودت سعيد، دور الفاعلين الدينيين في بناء السلم والديمقراطية، محاضرة ألقاها خلال المؤتمر (الاسلام، المسيحية و أوروبا) في بلجيكا 2 ديسمبر 2009 -

- الاعلان الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في 10 نوفمبر 1998 حيث اعتبرت الفترة الممتدة من 2001 وحتى 2010 عقداً دولياً لاعلاء ثقافة السلام.
- جان ماري مولر، اللاعنّف: المبادئ الفلسفية، واستراتيجية العمل اللاعنفي، أوراق بحثية ألقاها خلال محاضراته في ورشة عمل المنعقدة تحت عنوان: اللاعنّف والثقافة والتربية، مرميتا 20 و 22 حزيران يونيو 2008.
- ديميتري أفيرينوس، غاندي بين القداسة والسياسة، في محاضرة ألقاها خلال ورشة عمل حول: اللاعنّف وضبط النفس المنعقدة في مرميتا، سوريا 10 و 12 تموز يوليو 2009.
- ميشيل دويريه، هؤلاء الأمراء الذين يحكموننا، عن المقال المنشور في دفاتر المصلحة، أيار 1971.
- نهاد خياطة، التصوّف الإسلامي بين وحدة الشهود ووحدة الوجود مدخل إلى فكر محبي الدين بن عربي، دراسة، معابر، الاصدار الثالث، الربع الثاني من عام 2001
- **John Van Ordeñaren**, Unipolar Versus Unilateral, Policy Review, No. 124, April 2004
- **Challenge to the South**, Report of the South Commission , Oxford 1990
- **Fritjof Capra**, National Insecurity, New Age Journal, March/April, 1988

- **Jawdat Said Mohamed**, The role of religious actors in peace-building, Islam , Christianity & Europe - 2nd series of seminars - 2009-2010

مواقع إلكترونية:

- موقع معابر <http://maaber-new.com>
- موقع سماوات - ديميتري أفيريونس <http://samawat.org>
- موقع المفكر جودت سعيد <http://www.jawdatsaid.net>
- موسوعة ويكيبيديا www.wikipedia.com

كاريكاتير وصور:

معظم الصور الواردة منشورة على شبكة الانترنت، بعضها معلومة المصدر وأخرى لم يتسنى لنا معرفة رساميها الحقيقيين، وانا نورد هنا أسماء بعضهم وبعض المواقع الالكترونية المخوذة عنها.

- ستافرو جبرة Stavro jabra
- موريس هنري Mourice henry
- رائد خليل Raed khalil
- عماد حجاج Imad hajjaj

- جيهان محمود Jihan mahmoud
- أمية جحا Omayya jiha
- فيدو رو Vido Ru
- عامر الزعبي Amer zoebi
- www.cartoonstoks.com
- www.cristoon.com
- www.stavrotoons.com
- www.santygutierrez.com
- www.mahjoob.com
- www.caglecartoons.con/espanol
- www.aljazeera.net
- www.arabcartoon.net
- www.bhnation.net
- www.alriyadh.com



فهرس

إهداء.....	5
كلمة.....	7
شكرُ وعرفان.....	11

مَسْأَلَةُ الْعُنْفِ

بين عنف الخطاب و إكراهات الواقع.....	13
العنف الرمزي و الهيمنة.....	15
تاريخُ من نار و فصام حضاري!.....	22
ذاكرة العنف بين السيرورة التاريخية و الذات الحضارية.....	26

الحَقِيقَةُ وَتَجَلِّياتُ الْعُنْفِ

قراءة في مفهوم الحقيقة و هواجس السلطة.....	31
الحقيقة من منظور اللاعنف.....	33
المفاعيل اللاعنفية لتعددية الحقيقة ونسبية المعايير.....	41
اللاعنف وإدارة الهيمنة.....	45
تَفْكِيك مفهوم السلطة وتأريخ الحقيقة.....	49

إمْبَراطورِياتُ الْعُنْفِ

صِناعة الحروب باسم "السَّلام".....	61
العلاقات الدوليَّة دبلوماسية رشد أم إستراتيجية خراب.....	63
النظام العالمي الجديد بين إرادة الهيمنة وإدارة العنف.....	67
عودة الأمبراطوريات قطبية السياسة الدولية وصناعة الحروب.....	71
أسلحة الدمار وخرافة الأمن.....	75
الأمن المشترك والأمن العالمي.....	83
حقّ النقض "الفيتو" و إجهاض السلام.....	87

ثالوث العُنف

- 95..... مَصْنَعُ الأَزْمَات: الدولة، الاقتصاد، الإعلام
- 97..... الدولة والعنف
- 102..... مفهوم "السلطة" وعملية إدارة العنف
- 107..... الاقتصاد والعنف (مافيا الاقتصاد المَعُولَم)
- 110..... عولمة الأنانية و مافيا الإرهاب
- 115..... عنف السياسة والاقتصاد: مشهد دراماتيكي!
- 120..... الاعلام والعنف متاريس الفضائيات في عصر الصورة
- 125..... شاشة القمامة تسوّق ثقافة العنف
- 130..... اللاعنّف خيار الإنسان الواعي
- 132..... نحو عولة بديلة عولة مملكة الإنسان، عولة السّلام
- 134..... أنسنة السياسة:
- 136..... أنسنة الاقتصاد:
- 138..... أنسنة الاعلام
- 139..... أنسنة التربية
- 139..... أنسنة العقائد:
- 141..... العولة الإيجابية والنضال اللاعنفي:

على خطى السّلام

- 147..... من نماذج النّضال الرّوحي اللاعنفي
- 149..... مفهوم اللاعنّف في فكر المهاتما غاندي
- 155..... المنطلقات الأخلاقية و" الميتولوجية" لمفهوم اللاعنّف عند غاندي
- 157..... أولاً: مفهوم الحقيقة ساتياغراها satyāgraha:
- 159..... ثانياً: مفهوم اللاأذى أو اللاعنّف: آهيمس ahimsā
- 161..... ثالثاً: مفهوم اللاتملك أباريغراها:
- 163..... المرتكزات العمليّة لللاعنف عند غاندي (العصيان المدني - اللاتعاون)
- 166..... العصيان المدني بين العدالة و القانون
- 170..... العصيان المدني بين ديموقراطية التمثيل و ديموقراطية المشاركة
- 173..... مسارات السلام و ارادة العدالة

176.....	مفهوم اللاعنّف في فكر جَوَدَت سَعيد
177.....	مشكلة العنف: قلة وعي وأفكار عرجاء
182.....	المنطلقات الفكرية و"الميتولوجية" لنظرية اللاعنّف عند جودت سعيد
189.....	المرتكزات العقدية لللاعنف عند جودت سعيد
193.....	الديموقراطية واللاعنف عند جودت سعيد
193.....	إعلان موت الحرب

استراتيجيات الأمل

199.....	التأمّ المادة مع الروح في إطار وحدة الوجود
201.....	معبر نحو السلام
206.....	الحصاد المرّ ماذا بعد تراجع القيم الإنسانية؟
213.....	العقول المُفَخَّخة التفكير المنفعل وحالة الابداع
218.....	نحو انقلاب "فكري" تفكيك مملكة الارهاب في الفكر الإنساني
219.....	منطق عنيف عاجز!
221.....	مرآة "المنطق" في المجتمع والسلطة:
223.....	انقلاب انطولوجي عودة للروح من جديد!
229.....	مع الروح:
230.....	خاطرة: فلك النون
231.....	كونية الإنسان ووحدة الوجود تعددية الواحد ووحدة الكثرة
237.....	الإنسان ووحدة الوجود عند ابن عربي
239.....	منعاً لأي لبس، وحدة الوجود ليست الحلولية:
241.....	الإنسان بين الوحدة والثنائية والكثرة:
246.....	رهانات الأمل في تصالح المادة والروح والتأمّ الانشطار الوجودي
253.....	المصادر والمراجع



مروة كريدية

تعد الكاتبة مروة كريدية واحدة من المهتمات بالقضايا الإنسانية واللاعنف، حيث تطرح العلاقات الاجتماعية والسياسية من خلال رؤية وجودية تتجاوز الانقسامات الاثنية والدينية والجغرافية، وقد عملت في ميادين فكرية متنوعة، ولها العديد من الاعمال الادبية و الفنية التشكيلية والخواطر الشعرية والابحاث الميدانية في علم الاجتماع السياسي. شاركت في أعمال حوار الاديان واللاهوت المقارن، كما نشطت في ميدان الاعلام الثقافي.

من أبحاثها:

- الخطاب الإيديولوجي والسياسي عند حركات الإسلام النضال.
- حوار الحضارات بين العقلية الدوغمائية والعقلية التواصلية.
- الاستشراق والجغرافية العربية.
- سلطة الايديولوجية في السياسة اللبنانية.
- التعددية الثقافية بين مستويات الواقع والوحدة الوجودية.
- حوار الحضارات وعملية فهم التاريخ.

- الهوية وتوق التمسك بالجذور.
- المواطنة في مجتمع متعدد.
- الأنا والآخر، مناقشة طرح فلسفي لمفهوم الذات و الغير.
- أصيل ودخيل: مقارنة نقدية لمفهوم الأصالة و المعاصرة و أطروحات ما بعد العولة.
- اللاهوت السياسي في الشرق الأوسط، مقارنة نقدية لعلاقة الديني بالسياسي.
- كلمة إنسانية في حضرة كونية، مبحث فلسفي حول وحدة الوجود.

من إصداراتها:

- لوامع من بقايا الذاكرة، ديوان شعري، 2010.
- فكر على ورق، في الفكر والنقد، 2009.
- مدائن الغربية، في الفنون التشكيلية، 2009.
- أفكار متمردة، في الفكر والثقافة والسياسة، 2008
- معابر الروح، ديوان شعري، 2008



لها مدونات عدة على شبكة الانترنت منها:

<http://marwa-kreidieh.maktoobblog.com>

<http://marwakreidieh.unblog.fr/>

البريد الالكتروني:

Marwa_kreidieh@yahoo.fr

استراتيجيات الأمل في عصر العنف

مروة كريدية

أدّى اختلال التوازن بين الروح والمادة إلى نشوء علاقات مصلحة حوّلت عالمنا إلى مملكة للإرهاب تتحكم فيه فعل "المادة" و"الأنا" الفرديّة و"التجمعيّة" المنفعلة برغباتها.

هذا الكتاب ينتقد ثلوث العنف وديمومة ماضيه الأليم المتمثل بالسياسة المسببة للحروب المدمرة وأنانية الاقتصاد المعوّلم وممارسات الإعلام الدعائي المضلل...

ويطرح رؤية لاعنفية تستند إلى أصالة التسامي اللامحدود لوعي الإنسان المتمثل بالإبداع والمحبة الكامن في صمت الضمير الأسمى حيث الكلمة الصادقة النابعة من معين الفهم الذي يُعرفنا إلى أي حدّ ترتبط به حقيقة وجودنا بحقيقة كل الوجود.

ISBN 993343315-6



سورية - دمشق - ص.ب: 2322

هاتف: +963 11 56399560

فاكس: +963 11 5630559

جوال: +963 944894386



للدراسات والنشر والتوزيع